العقـــــــل

فــى

الفكر الإسلامى والفلسفة الحديثة

إعـــداد

د / لوتــس على محمد على

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بالكلية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب السموات والأرض حمداً يليق بجلاله وكمال صفاته والصلاة والسلام على سيدى الهادى البشير وآله وصحبه أجمعين .

وبعد . .

ان الله عز وجل وهب الانسان العقل وأمره باستخدامه فى كل جوانب الحياة حتى يطلع على ملكوت السموات والأرض، ويعلم أن الكون كله ينطق بوحدانية الله عز وجل. فهو الأعلى المتعال . كل كمالاته دلائلها فى عجائب مخلوقاته . واسراره، كامنة فى نفوس مخلوقاته . سبحانه وتعالى رب العرش العظيم .

ومن مخلوقته العقل وهو سر الأسرار كل عقل له سر خاص به وكل تفكير عقلى كمل أو نقص دليل على تفرد الله عز وجل فى الوحدانية.

فأردت أن اكتب فى العقل لأهميته فى الفكر قديما وحديثا لأنه فى رأيى عصب الحياة . لأن الحياة منذ ظهرت على وجه الأرض قائمة على التفكير العقلى . وجميع الأديان السماوية جاءت مخاطبة أصحاب العقول النيرة .

فكانت خطة البحث كالتالى :

مقدمة :

المبحث الأول : تعريف العقل .

المبحث الثانى : الأوليات العقلية وصفاتها .

المبحث الثالث : العقل عند المتكلمين .

المبحث الرابع : العقل عند فلاسفة المسلمين .

المبحث الخامس : العقل عند الفقهاء .

المبحث السادس : العقل فى ميدانى العقيدة والشريعة .

المبحث السابع : العقل فى الفلسفة الحديثة .

الخاتمة :

المصادر والمراجع .

ونرجو من الله العلى القدير أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه وعلى الله قصد السبيل .

المبحث الأول

تعريف العقل

العقل فى اللغة :

تدل مادة "عقل" فى اللغة العربية على حالة حبس وتقييد .

قـــال ابن فارس : " العين والقاف واللام أصل واحد منقاس ، يدل على حبسة فى الشىء، أو ما يقارب الحبسة"(١).

وجاء فى تهذيب اللغة : "سمى عقل الإنسان الذى فارق به الحيوان عقلاً لأنه يعقله، أى : يمنعه من التورط فى الهلكة كما يعقل العقال البعير عن ركوب رأسه"(٢).

وعلى هذا سمى العرب العقل الإنسانى عقلاً؛ لأنه يمنعه من أشياء أو يمنعه من الأنفلات .

وقـــال الجرجانى : " إنه جوهر مجرد عن المادة فى ذاته مقارن لها فى فعله فهو جوهر روحانى ، خلقه الله تعالى متعلقاً بالبدن"(٣).

فالقـــرآن الكـــريم يشير إلى المفهوم حيث أن العقل شىء غير مادى معنوى له تعلق بالإنسان . حتى إذا أنتفى من الإنسان لم يجب عليه تكليف فى الشرع لذلك جعله الإسلام الأساس فى التكاليف الشرعية.

" والذيـــن عـــرفوا العقل من علماء المسلمين بأنه جوهر لم يقصدوا بجوهريـــته مفارقـــته للمادة وقيامه مستقلاً بنفسه كالعقل الفعال فى الفلسفة اليونانـــية وإنمـــا أرادوا بـــيان اخـــتلاف فعله عن فعل الأعضاء المادية فى

---

(١) معجم مقاييس اللغة مادة (عقل) .

(٢) تهذيب اللغة . جــ ١ ص ٢٣٧ محمد بن أحمد الأزهرى .

(٣) التعريفات للجرجانى ص ١٥١ .

الإنســان كالســمع ، والبصر، والحس، وقصدوا من تجرده عن المادة سبق مبادئه المدركات الحسية، ولهذا فإنهم يجعلون فعله مقترناً بالمادة"(١).

العقل فى الفكر اليونانى :

فالعقل فى الفلسفة اليونانية ينقسم قسمين :

ــ عقل فى الإنسان بمثابة العرض القائم به .

ــ وعقل مفارق للمادة، وهو جوهر قائم بنفسه .

" فــالعقل الأول : صــنفان ، عقــل بالملكة وهو العلم بالضروريات واســتعداد الــنفس بذلــك لاكتســاب النظريات، وعقل مستفاد حينما تكون النظريات مختزنة عند العقل بالملكة ، حاضرة لا تغيب عنه"(٢).

" والــنوع الــثانى : فهو العقل الفعال، وهو مفارق للمادة أزلى، لا يدركــه الفناء، وهو الذى تفيض منه الصور إلى عالم الكون والفساد، ومنه يســتمد العقــل الإنسانى المعرفة، وقد تشتد صلة العقل الانسانى بهذا العقل حــتى يكــاد يتحد به، ويسمى حينئذ عقلاً قدسياً. وفوق العقل الفعال عقول أخرى ــ هى فى الغالب عشرة ــ وصلة العقل الانسانى مقصورة على العقل الفعال"(٣).

وافلاطــون الــذى قــال بــأن هناك عالم يسمى عالم المثل كانت به الموجــودات قبل أن يكون ثم ستعود إليه مرة أخرى بعد تصفية النفس من الآثــام والشهوات وأسماه عالم العقل وهو عالم روحانى غير مادى "فمثالية أفلاطــون تــنظر إلــى النفس على أنها من طبيعة عالم العقل أو عالم المثل المفــارق للمــادة . وهى روحية تدرك الروحيات أى فيها قوة إدراك وهى

(١) مصادر المعرفة فى الفكر الدينى والفلسفى د/عبد الرحمن بن زيد الزنيدى ص ٣٠٢ .

(٢) المعجم الفلسفى جـ ٢ ص ٨٥

(٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ٨٦ .

بحلولهـا فى البدن اجتمع إليها قوة الشهوة والغضب . والنفس هى واحدة وهذه قواها، وهى بسيطة .

وعلى ذلك فالعقل طبيعته مفارقة ومن عالم المثل . وهو ليس بحاجة إلى المادة بل البدن كمادة يعوق تعقله ، وسعادته بتعقل عالم المثل. فالبدن عـائق له عن هذه السعادة . والمحسوسات إنما تذكر العقل بعالم المثل أو بالحقـائق فى العالم العقلي التى هى الحقيقة ، والمحسوسات إنما هى ظلال وأشباح لتلك الحقائق العقلية المفارقة الصرفة"[1].

فالعقول المجردة هي أشياء ذهنية ليس لها وجود فى الأعيان بل هي كالمثل الأفلاطونية .

" إن أول مـن قال بالعقل الفعال هو أرسطو ، وقد جاءت فكرته عنه غامضـة، إذ لم يحدد خصائص لهذا العقل الذى اعتبره مفارقاً للمادة، بل إن قوله به يناقض فلسفته التى لا ترى للنفس وجوداً مبايناً للمادة، فوجودها لا يكون إلا مع البدن"[2].

كمـا أن أرسـطو حارب الماديين فى اعتبار العقل نوعاً من الحواس حيـث أن أرسـطو فـرق بيـن عقلين " العقل الهيولانى الذى هو بالقوة أو المـنفعل أو مجـرد الاستعداد الذى يمكن الإنسان من إدراك معانى الأشياء وصـورها . والعقـل الفعـال الذى ينتزع هذه المعانى أو الصور. والعقل المـنفعل أو الهيولانى فى نظره، كذلك هو جزء النفس الذى يتشكل بالصور العقلية ويقبلها، ويخرجه من القوة إلى الفعل بتأثير العقل الفعال. وعلى ذلك فالعقل عند أرسطو قوة صرفة، ومفارق لكل عضو، وروحي بقسميه المنفعل والفعـال، وإن كان يعترف بالتجربة وأن المعقولات للعقل موجودة بالقوة فى

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم ص ٨٩، ٩٠ .

(٢) الفلسفة العربية عبر التاريخ رمزى النجار ص ٥٤ .

الصــور المحسوســة غــير مفارقــة وأنه لا يمكن التعلم أو الفهم من غير الإحساس"(١).

ثــم جاء أفلوطين ٢٧٠ م الفيلسوف النصرانى رائد الأفلاطونية الحديثة الذى قال : " بأن العقل الأول فاض من الله كما يفيض النور من الشــمس ، ومنه فاضت النفس الكلية ... وقد تسلسل الفيض عندهم مــن العقل الأول إلى العقل العاشر، الذى هو العقل الفعال، الذى فاضت عنه هيولى العالم القديم . عالم الكون والفساد ، واستعدت هذه الهيولى لتقبل الصور من واهب الصور العقل الفعال".

وقــد أرادوا بهذا التوفيق بين الدين الذى يقول : بأن الله مصدر المخلوقــات ، وبين الفلسفة التى تقول . بانعزال الله عن العالم انعزالاً تاماً، بحيث لا يعلمه تنزيهاً له . فقال هؤلاء بأن الله مصدر المخلوقات ولكــن عن طريق وسائط روحية غير مادية . ومن خلال فيض لا خلق مباشر.

وقــد قال الغزالى عنها :"إنها نظرية خيالية لا برهان فيها ولا دلــيل، وانها تعقد مسألة الخلق أكثر مما تحلها، ولا يقبلها الدين لأنـها تــنفى عــن الله إرادتــه بــل وتتــناقض مع قصة الخلق كما جاء بها الوحى"(٢).

ونجد أن "أسكندر الأفروديسى" تأثر بفكر أرسطو فى العقل الفعال الــذى هو مصدر المعقولات ، فقال يوسف كرم : "يميز الأسكندر أربعة عقــول : أحدهــا العقــل الهيولانى، ويقول أنه يدعوه كذلك لأنه بالقوة

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة د/ راجح عبد الحميد الكردى ص ٦٠٣ .

(٢) نظر الفلسفة العربية عبر التاريخ . رمزى النجار ٤٧ ، ٥٧ .

كالهيولى، وعقل بالملكة وهو العقل الهيولانى وقد حصل على موضوع معقول ولكنه لا يتعقله بالفعل، والعقل الفعال الذى يجرد موضوعات الإحساس من مشخصاتها المادية بفعل نورانى، ويجعلها معقولة، فيخرج العقل الهيولانى من القوة إلى الفعل. وفى هذا التمييز يعبر الاسكندر بأسماء واضحة عما يقوله أرسطو بألفاظ غير واضحة، وأخيراً يسمى العقل الفعال من جهة إخراجه العقل الهيولانى إلى الفعل، بالعقل المستفاد، أو أن العقل المستفاد عبارة عن حال اتصال العقل الهيولانى بالعقل الفعال"[1].

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣٠٢ .

المبحث الثانى

الأوليات العقلية وصفاتها

العقــل هــو الميزان الذى أعطاه الله الإنسان، فهو قادر على معرفة الحسن والقبح والصواب من الخطأ وهناك أوليات عقلية فى المعرفة البشرية تقوم على التصور والتصديق .

أولاً التصــور هــو الإدراك البســيط لمعــانى الأشياء كتصور معنى الحرارة والبرودة .

والتصــديق هــو الإدراك القائم على الحكم بنسبة بين طرفين كالحكم بأن النار محرقة .

وتنقسم التصورات إلى قسمين تصورات بسيطة مفردة كمعنى البياض والسواد . وتصورات مركبة من مفردات كتصور جبل من ذهب فهو مركب من تصورين مفردين هما : الجبل والذهب.

أولاً : التصور :

التصور عند المناطقة :

" هو الذى ليس معه حكم ، وهو حصول صورة الشىء فى الذهن من غير حكم عليه بنفى أو إثبات على وجه الجزم أو الظن.

فحصول صورة الإنسان فى ذهنك من غير حكم عليهما بنفى أو إثبات يقال له تصور"(١).

ومــن التصورات العقلية الأولية هى نظرية عالم المثل عند افلاطون "وفــيها يــرى أفلاطون أن النفس كانت موجودة بصورة مستقلة عن البدن،

---

(١) تجديد علم المنطق فى شرح الخبيصى على التهذيب ص ١٣ عبد المتعال الصعيدى.

وأنهـــا كانت تتصل بالحقائق المجردة ــ عن المادة ــ حيث تمكنت من العلم بتلك الحقائق ، وتصورها فى عالمها العلوى ٠ ثم إن هذه النفس هبطت إلى العــالم المادى، وارتبطت بالمادة عن طريق اتصالها بالبدن، مما أثر عليها، فنســيت مــا عرفـته، حينما كانت مجردة، وذهلت عنه ذهولاً تاماً ٠ ويرى أفلاطون أن عالم الأشياء فى هذا الكون المادى الذى هبطت إليه النفس يمثل ظلالاً ، وانعكاساً لتلك المثل والحقائق ٠

لذا ، فإن النفس المرتبطة بالبدن تطل من خلاله عن طريق الحواس على هذه الظلال ، فتتذكر تصوراتها السابقة لعالم المثل، فالمعرفة استرجاع لإدراكات سابقة كامنة فى النفس لحقائق موجودة فى عالم أعلى، كما تتذكر صــديقاً لـــك عاشرته ، ثم غبت عنه، فأريت صورته، فتذكرت شخصه بهذه الصورة ٠

وعلــيه، فالمعــرفة لديه تذكر ، والجهل نسيان، والإحساسات مجرد منــبهات للنفس إلى ما هو مستقر فيها من معرفة لذلك العالم العلوى ، تعود إلى تعقلها مرة أخرى[1].

فالتصورات عند افلاطون كامنة فى النفس البشرية منذ الأزل وتنبعث منها تباعاً عن طريق التذكر ٠

وأمــا أرســطو خـــالف أفلاطون حيث جعل الاحساس هو الذى يولد التصورات الكلية والجزئى هو الوجود الحقيقى فى الكون وليس شبحاً للكلى والكلى ليس له وجود إلا فى الذهن فقط ٠

" والفــارابى يــرى أنه ينبغى أن يؤول كلام افلاطون على أنه يقصد بوجــود المثل خارج الذهن، وسابقة على أعيانها المجزأة، أنها موجودة فى

---

(١) انظــر دراســات فـــى تــاريخ الفلسفة العربية عبده الشمالى ص ٢٢ ط الخامسة ٠ دار صــادر ٠ لبنان ٠

علـــم الله لأن الله قد علمها قبل أن يبرأها، لا على أنها قائمة فى مكان آخر، خارجة عن هذا العالم"[١]٠

الحقيقة لا يوجد تلازم بين الوجود الذهنى والوجود الخارجى لأنه قد يقع فى الذهن أشياء لا وجود لها فى الخارج ٠ وقد توجد أشياء فى الخارج لا يعلمها الإنسان ولا يتخيلها مثل الأشياء الكونية التى لم تعلم بعد والغيبيات أيضاً ٠

ويـــرى ديكارت أن المبادئ الأولية تكمن فى التصورات والتصورات عنده هى الأفكار البسيطة التى لا تحتاج برهان وهى التى تتكون منها جميع العلوم ويشبه هذه الأفكار بالأعداد الأولية فى الرياضة أو حروف الهجاء٠

يقــول ديكارت : " فالقاعدة أن جميع الأشياء التى أتصورها بوضوح وجــلاء تامين هى أشياء صحيحة ٠٠٠ ولا أعتبرها يقينية وحسب، كسائر الأمـــور التى تبدو لى يقينية ، بل فضلاً عن ذلك فأنا ألاحظ أن يقينى متعلق بها ضرورة"[٢] ٠

معـــنى ذلـــك أن الأفكار البسيطة الواضحة يقبلها العقل دون تردد أو نظر مثل فكرة الله والنفس والامتداد والحركة والزمان والأشكال ٠

أمـــا "كانـــت " جعــل التصورات عنده خمس عشرة تصور وتسمى المقـــولات وهـــى فى الكم والكيف، الاضافة، الجهة، الوحدة، الكثرة، الواقع، الجوهـــر والعرض ، الإمكان ، السلب، العلة والمعلول ، الوجود ، الشمول، التحديد، التبادل، الضرورة٠

" وقـــد علـــل العقليون قولهم بفطرية هذه التصورات بأنهم لم يجدوا كيفية وجيهة تفسر نشوءها من الحس، فلم يبق إلا أن تكون ذاتية فى الإنسان منبثقة من نفسه ٠

---

(١) الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى د/محمد البهى ص ٢٨١ ، ٢٨٤ ٠

(٢) ديكارت والعقلانية ٠ جنفيان روديس ص ٥٩ ٠

وقد رد عليهم التجريبيون وقالوا : إنه من الممكن رد جميع التصورات إلى الحس والاستغناء عن القول بفطريتها، ولم يكن ردهم حاسماً فى مجال التصورات •

كما ردت بحجة أن الوجدان البشرى يرفض قولهم، لأننا نعلم جميعاً أن الإنسان لحظة وجوده على هذه الأرض لا توجد لديه أى فكرة مهما كانت"(١).

ولكن بالرغم من أن الإنسان يولد صفحة بيضاء إلا أن عقله موجود ويتقبل الأمور والأفكار البسيطة منذ ولادته على قدر احتياجاته فهو عنده الاستعداد لتقبل المبادئ الأولية •

" إن الإنسان يولد مفطوراً على أشياء عقلية، تسوقه إذا لم تنحرف به بيئته نحو مسلك فكرى سليم فى ذروته الاقرار بوجود الله ووحدانيته، ثم إنه جعل من مصادر هذا العلم الأفئدة ولا معنى لمصدريتها إلا بما فيها من مبادئ أولية بالقوة أول أمرها، ثم تكون بالفعل بعد ترقى النفس"(٢).

والتصورات أربعة عند الفخر الرازى لا يخرج عنها أى تصور•

فأحدها : الماهيات التى أدركناها بأحد الحواس الخمس، وهى المبصرات، والمسموعات، والمشمومات، والمذوقات، والملموسات •

وثانيها : الماهيات التى ندركها من نفوسنا إدراكاً ضرورياً كالألم واللذة والجوع والشبع والفرح والغضب وأمثالها •

وثالثها : الماهيات التى ندركها بحكم فطرة عقولنا كتصورنا لمعنى الوجود والعدم والوحدة والكثرة والوجوب والإمكان والامتناع •

---

(١) مصادر المعرفة فى الفكر الدينى والفلسفى ص ٣٢٠ •

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٣ ، ٣٢٢ •

والـنوع الـرابع : الماهـيات الـتى يركبها العقل والخيال من هذه البسـائط، أما تركيب الخيال فهو كما إذا تصورنا بخراً من زئبق وإنساناً له ألـف رأس فإنـا بحس البصر أدركنا البحر، وأدركنا الزئبق، فالخيال يركب صورة البحر مع صورة الزئبق وكذا القول فى سائر الأمثلة .

وأمـا تركيب العقل فهو أنا إذا قلنا : شريك البارى ممتنع الوجود، فما لم يتصور العقل معنى شريك الإله يمتنع أن يحكم عليه بالإمتناع، ثم إن العقـل إنما يمكنه تصور معنى شريك الإله، لأنه قد تصور معنى الشريك فى بعـض المواضـع ، وتصور أيضاً معنى الإله فى الجملة . فلما حصل عنده تصـور هذيـن المفهومين لاجرم ركبهما، فحصل عنده تصور معنى شريك الإله، فلا جرم قدر على أن يحكم عليه بالإمتناع فنقول: لما عقلنا الشريك فى حـق الواحـد منا، فهذا المعنى الذى تعقلناه فى حقنا نضيفه إلى الله تعالى فـنقول : ثـبوت شـىء لله تعـالى نسـبته إليه كنسبة شريكنا إلينا محال الوجود"[1] .

ثانياً : التصديق : -

والتصديق عند المناطقة :

" هـو حصـول صـورة الشىء فى الذهن مع الحكم عليه بالنفى أو الإثـبات، وذلك كأن تدرك أن الفاعل مرفوع، وأن المفعول به منصوب . فقد حصلت عندك صورة للفاعل أو للمفعول مع الحكم على الأول بالرفع والثانى بالنصب وهكذا"[2] .

---

(١) المطالب العالية من العلم الإلهى جـ ١ ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) علـم المـنطق الحديـث والقديم ص ٣٤ . عبد الوصيف محمد عبد الرحمن . الجمعية العلمية الأزهرية .

فالتصـــديق يــنطوى علىَ حكم بين شيئين ولا يكون فكراً مجرداً من الحكـــم ولذلــك كثـــير من الفلاسفة اعتبروا التصور أفكار ساذجة خالية من الاثــبات أو الــنفى وابن تيمية يرى ذلك فيقول " الكلام المفيد أن يخبر عنه ــ المفــرد ــ بإثبات شيء، أو نفيه ، وأما التصور المفرد فلا فائدة فيه وإن كان ثابتاً بأصل الفطرة"(١).

يرى الفلاسفة العقليون ــ بدءاً ــ أنه ليس كل تصديق أولياً، بل إن غالب التصديقات ليست أولية، إذ هى إما ضرورية ، أو نظرية .

والضرورية : هـــى التى تسميها المناطقة : مصادر المعرفة اليقينية ــ عــدا الأوليات ــ ومن أشهر أنواعها الحسيات والمجربات، كقولهم الثلج بارد، والخمر مسكر .

والنظرية : هى التصديقات التى لا يمكن للنفس أن تؤمن بصحتها إلا إذا اعـــتمدت علـــى تصـــديقات سابقة عليها تمتاز باليقين والوضوح، وهى الأولـــية، مـــن خـــلال استدلال عقلى كالتصديق بأن العالم حادث ، وأن الله موجـــود ، إلـــى غير ذلك من الجمل التصديقية التى لا يدركها العقل إلا بعد التدليل عليها .

" وقـــد عقـــد المتكلمون فصولاً فى مقدمات كتبهم عن أصل المعرفة وطريقها، وأرجعوا العلم إلى أمرين :-

بديهة العقل وأوائل الحس ، وسموها العلم الضرورى . ذلك أن الطفل حينما يولد لا تكون لديه معرفة ولا تمييز، وهم بهذا يمثلون النظرة القرآنية المتمثلة فى قوله سبحانه : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(٢).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل جــ ٨ ص ٥٣٥ .

(٢) سورة النحل، الآية ٧٨ .

وهــم بهــذا لا يقولــون بفطرية الأفكار ، بمعنى كونها مخلوقة مع الإنسان كمعلومات وقضايا، وليست بسبب التذكر كما عند أفلاطون، كما أنها ليســت مــن الحس وحده ولا من العقل وحده. وإنما هى ناشئة من الحس والعقل . وهذه المعرفة الضرورية ، العقلية والحسية ، لا يشترط فيها تعليم ولا معرفة سابقة"[1].

يقــول الــبغدادى : " علوم الناس ضربان : ضرورى ومكتسب . والفــرق بيــنهما من جهة قدرة العالم على علمه المكتسب واستدلاله عليه، ووقــوع الضــرورى فــيه من غير استدلال منه ولا قدرة له عليه. والعلم الضرورى قسمان :

أحدهما : علم بديهى، والثانى : علم حسى.

والعلوم النظرية نوعان :

عقلى وشرعى، وكل واحد منهما مكتسب للعالم به واقع له باستدلال منه عليه"[2].

وتتمــثل المبادئ الأولية التى فطر عليها العقل فى تلك الأحكام الكلية مــثل الكل أعظم من الجزء، الواحد نصف الاثنين، الأشياء المساوية لشىء واحــد متســاوية ، وقد حاول بعض الفلاسفة حصرها بشكل كلى، فجعلوها أربعة تنبثق منها ، أو تقوم عليها المبادئ الأخرى وهى :

١ – مبدأ الهوية، الذى يقضى بأن ما هو هو ، وما ليس هو ليس هو، أى : أن الشىء لا يكون غيره .

٢ – مــبدأ عدم التناقض الذى يقضى بأن الشىء الواحد لا يمكن أن يكون ، وأن لا يكون معاً .

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٥١٨ .

(٢) أصول الدين للبغدادى ص ٨ – ٩ .

وهـــذا المبدأ أهم المبادئ العقلية ، وجوهر الفكر المنطقى، وهو لازم لكل معرفة بحيث لا يمكن التيقن من صحة معرفة بدون الإرتكان إليه.

٣ – مـــبدأ نفى الثالث (الوسط المستبعد) الذى يقضى بأن كل شىء هو إما (أ) أو لا (أ) ، ولا وســـط بينهما، فالعدد زوج أو فرد، ولا يمكن أن يكون إلا أحدهما .

والمبدأن الثانى والثالث مرتبطان ، لأن مقتضى الثانى أن النقيضين لا يكونـــان معاً، ومقتضى الثالث أنهما لا يرتفعان معاً، بل لا بد أن يكون أحدهما .

٤ – مبدأ العلية : ومقتضاه أنه لا يمكن أن يحدث شىء دون أن يكون هناك سبب أو علة محددة ، تصلح تفسيراً لحدوثه، وتكون هذه العلة كافية إذا كانت قادرة وحدها على التفسير الحقيقى الكامل لذلك الحدوث"[1].

العقليون يرون أن المبادئ الأولية هى مصدر المعرفة البشرية فى كل فـــنون العلـــوم . والتجريبيون ينقدون هذا ويرون أن الحس والتجربة هما اساس المعرفة .

والمنهج الإسلامى أعطى الحس والتجربة دوراً فى الإدراكات الحسية للذيـــن يؤمنون بالمعرفة المادية، وأعطى كذلك دوراً للمعرفة القلبية، وأيضا وجه العقل والفكر إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض لمن عقله يرغب فى النظر والاستدلال والبرهان .

قال تعالى : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[2].

---

(١) انظـــر المعجم الفلسفى جـــ ١ ص ١٧٦، مصادر المعرفة فى الفكرالدينى والفلسفى ص ٣٢٤ ـــ ٣٢٥ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٧٨ .

اختلفت مصادر المعرفة على اختلاف طبائع البشر وأمزجتهم وميولهم العقلية والحسية والقلبية

والفارابى قد أرجع المبادئ الأولية للمعرفة أو الأوليات إلى فيض العقل الفعال ـ الله ـ بعملية صعود بين قوى النفس أو العقل ، وتدرج حتى تكون مستعدة لهذا الإشراق . ومن ثم فالسعادة عنده " هى أن تصير نفس الانسان من الكمال فى الوجود إلى حيث لا تحتاج فى قوامها إلى مادة، وذلك أن تصير فى جملة الأشياء البريئة عن الاجسام، فى جملة الجواهر المفارقة للمواد، وأن تبقى على تلك الحال دائماً أبداً إلا أن رتبتها تكون دون رتبة العقل الفعال. وإنما تبلغ ذلك بأفعال ما إرادية بعضها أفعال فكرية وبعضها أفعال بدنية"(١).

التصديق لا يأتى إلا عقب تصور الطرفين والحكم لا يكون إلا عن طريق المعرفة العقلية . " وبهذا يكون تفسير المعرفة عند الفارابى وابن سينا تفسيراً عقلياً إشراقياً وإننا نلاحظ أن النزعة العقلية هى المسيطرة على تفسير المعرفة وطبيعتها ولكنها عقلية من نوع معين فهى ليست مجرد الوقوف عند التركيز على العقل طريقاً للمعرفة ، ولكنها تتجاوزه إلى أن يكون العقل طريقاً لها ومصدراً .

فالعقل الإنسانى يتدرج فى مراتب الكمال بعد انتزاع الصور من الحس من عقل بالقوة إلى عقل بالفعل إلى عقل مستفاد . ثم يتصل بالعقل الفعال الذى هو المصدر للمعرفة، فيهب الصور للعقل المستفاد، وهو الذى يخرج العقل من القوة إلى الفعل . وهو الذى يفيض ويشرق على المراحل المعرفية ما يسمى بالشوق أو التطلع إلى أعلى ـ حتى تعود النفس بالتجرد والتطهر إلى وحدتها وكليتها وجوهريتها العقلية"(٢).

---

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى ص ٦١ .

(٢) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٣٩١ .

فالطريق العقلى طريق يلتزم بمنطق العقل ومقولاته وهو تأمل فكرى لا يخرج عن قواعد العقل وبالتجرد من المادة التى تكدر صفو التفكير العقلى يستطيع الانسان أن يصل إلى الكمال فيتصل بالعقل الفعال الذى يهبه الصور أو المعرفة اليقينية ٠

صفات الأوليات العقلية :

تتميز مبادئ العقل الأولية عن غيرها بصفات أساسية وهى : الفطرية و العمومية ٠

أولاً : الفطرية :

وهى نسبة إلى الفطرة التى يولد بها الانسان دون تعلم أو اكتساب فهى استعدادات وضعها الخالق فى الانسان لتلقى العلم بعقله دون نظر أو مجهود ٠

ففطرية هذه المبادئ تعنى أن الله سبحانه وتعالى خلقها فى النفس البشرية قبل مباشرتها أى معرفة خارجية يقول ديكارت عنها " يحس بأنها منقوشة فى طبيعته وكأنها خاتم الصانع المنقوش على ما صنعته يداه"(١) ٠

" أنكرت المدرسة الواقعية فطرية الأفكار أو المبادئ الأولية ، بمعنى أنها ثابتة، ومخلوقة مع الانسان، ومفطورة فى النفس البشرية ٠ وهى بهذا لا تنكر وجود معارف على ضوئها يفهم العالم الخارجى، وتقوم التجربة، ولكنها تنكر أن يكون العقل بفطرته مصدراً لهذه الأفكار سواء فى مجال التصوير أو التصديق ٠

وإنما الحس أو التجربة هو المصدر الرئيسى لهذه الأفكار ٠ فالإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء خالية من كل معرفة فطرية، واتصاله بالعالم الحسى هو الذى يهيئ له فرصة انعكاس هذا الواقع عن طريق إحساساته

---

(١) ديكارت والعقلانية ص ٥٥ ٠

على ذهنه ، فنحن حين نحس بالشيء نتصوره فى أذهاننا، وأما المعانى التى لا يصل إليها الحس فلا تستطيع النفس ابتكارها وابتداعها من ذاتها وبصورة مستقلة والتجربة هى الأساس الوحيد للحكم الصحيح"(١) "فالرواقيون يشبهون الذهن قبل ورود الإحساسات عليه بالصحائف البيضاء لم ينقش عليها شيء ، والعقل على شرف منزلته من النفس يرونه منبع الإحساس بل هو نفسه إحساس . فالإحساس إذن فى نظر أهل الرواق هو أول مراتب المعرفة وعمادها"(٢).

معنى أولية الأفكار عندهم أنها نتائج سابقة من طراز أعلى من طراز التجربة الأرضية ، تلك هى التجربة التى استفادها الذهن قبل اتصاله بهذا الجسد الأرضى. وذلك الرأى ينسجم مع مادية الوجود عندهم .

ونجد (جون لوك) فى الفلسفة الحديثة يعتمد على التجربة الحسية فى المعرفة وهى ليست أكثر من تلقى الانطباعات الحسية ونقلها إلى العقل وهو صفحة بيضاء . ومن ثَّم يقوم العقل بوظيفتين إحداهما سلبية فى تلقى هذه الانطباعات ، والأخرى إيجابية يقوم فيها بربط هذه الإنطباعات الحسية وتركيبها بالمقارنة والجمع والتجريد لتكوين صور ذهنية منها .

يقول (جون لوك) : " أى فكرة ــ تتولد فى الذهن إنما ترتد إلى مصدر واحد فقط هو التجربة أو الخبرة . فالإنسان يولد وعقله يشبه الصفحة البيضاء الخالية من أى معان أولية أو أى أفكار فطرية . وحالما يبدأ فى الإحساس ، تنتقش عليه الانطباعات الحسية المختلفة، ويبدأ فى تكوين أفكار عنها . وعلى ذلك فالعقل يستمد كل خبراته ومعلوماته من التجربة وبها وحدها"(٣).

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٣١٠ .

(٢) الفلسفة الرواقية د/ على عبد الواحد ص ٩٥ .

(٣) جون لوك . د/ عزمى اسلام ص ٥٢ ، ٥٣ .

فالإحساس يسبق التفكير العقلى عند جون لوك . وأيضاً أنكرت الماركسية فطرية الأفكار والمبادئ الأولية وترى أن الفكر نتاج المادة.

وعند الماركسية" العمل والتجربة والإنتاج هى التى تثير أولى حركات الفكر فى بدء الجنس البشرى ومصدر الأحاسيس هو فى المادة التى يشتغل بها الإنسان . وللمعرفة درجتان درجة الإحساس ، ودرجة الفكرة المجردة أو المفهوم.

والفكرة المجردة هى التى تعكس الواقع بدقة ، ويتلقاها الشخص بواسطة الاستعمال الاجتماعى الذى يتكرر غالبا"(١) فالانتقال من درجة الاحساس إلى درجة الفكر يتم بصورة جدلية وهى استمرار عملها فى الوسط الاجتماعى ترسخ وتصبح معرفة يقينية .

ونحن نرى أن العقل شىء غير الحس وأنه ذو طبيعة روحية، والمحسوسات ذات طبيعة مادية فلا ترتقى المادة إلى الروح ولكن ليس معنى ذلك أن الأفكار الفطرية هى المصدر الوحيد للمعرفة العقلية ولا الحس والتجربة هما مصدرا المعرفة . وإنما للعقل مجاله وللحس مجاله وللتجربة مجالها والحواس لها اثر كبير فى تقديم المادة الخام الذى يصنع منها العقل بعض مبادئه وأفكاره . " فإنه يوجد هناك من القضايا البديهية والأولية التى لا يمكن لعاقل أن يرفضها، وهناك من المبادئ الإستقرائية من الجزئيات أو من الحس التى يحكم العقل بأنها قوية، ومن القوة بأن يسلم بها أكثر الناس إلا من يعاند وهناك من المبادئ والقضايا التى تشتهر ويكون للبيئة والدين والتربية أثر فى تكوينها، وجعلها بمثابة القضايا البديهية فى التسليم بها والتحاكم على أساسها ... ونرتضى تعبير القرآن عن هذه القضية ... إذ

---

(١) أصول الفلسفة الماركسية جورج بوليتزر جـ ٢ ص ٢٧١ .

يقول سبحانه : ((وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))[١] .

ففي صريح الآية تنبيه إلى القاعدتين التاليتين :

القاعدة الأولى : المعرفة كلها بديهية ونظرية طارئة على الانسان ومخلوقة له بعد ولادته فلا فطرية لها بمعنى أنها مخلوقة فيه قبل الولادة .

القاعدة الثانية : جعل الله سبحانه وتعالى مهمة المعرفة منوطة بالحواس وبالعقل ، ولم يجعلها مقتصرة على أحدهما فالعقل بنضجه يدرك بالحدس قضايا أولية ومن خلال تعامله بالواقع المحسوس يقدم له الحس معطيات يستنتج منها بالاستقراء وبالتعامل مع الواقع قضايا أولية"[٢] .

الأوليات والضروريات :

مما ينبغي التنبيه عليه أن الضروريات ليست مرادفة للأوليات ولكن بينهما عموم وخصوص ، ذلك لأن العلوم الضرورية جزء من الأوليات .

" والأوليات هي التي لا تفتقر إلى شيء أصلاً بعد توجه العقل إليها"[٣] .

فالضروري : قد يكون أولياً بديهياً، وقد يكون غيره مستنداً إليه " فكل قضية نعلم بعلم قبلي أن نقيضها باطل فهي قضية ضرورية"[٤] .

قال الجرجاني بعد ما عرف الأوّليّ " وهو أخص من الضروري مطلقاً"[٥] وقال : " أما البدهي فيختلف عنه في أنه يأتي على المعنى الذي

(١) سورة النحل ، الآية ٧٨ .

(٢) نظرية المعرفة بين القرآن والنظرية ص ٣٢١ .

(٣) التعريفات للجرجاني ص ٣٩ .

(٤) المعجم الفلسفي جـ ١ ص ٧٥٩ .

(٥) التعريفات للجرجاني ص ٣٩ .

ذكرناه في تعريفه، فيكون كالأولى أخص من الضروري ، ويأتي بمعنى المستغنى عن النظر والكسب، سواء توقف حصوله على حدس أو تجربة، أو غيره أو لم يتوقف وهنا يكون مرادفاً للضروري"(١).

والضروريات عند المناطقة تعتبر مصادر المعرفة اليقينية وهى الأوليات والمحسوسات والمجربات والحدسيات والتى عرفت لا بنفسها بل بوسط .

" فالأوليات هى القضايا التى يوجبها العقل الصريح لذاته ولغريزته، لا لسبب من الأسباب الخارجة عنه " كقولنا إن الاثنين أكثر من الواحد، والكل أعظم من الجزء، والأشياء المساوية لشيء واحد متساوية ، وأن السلب والإيجاب لا يصدقان على شيء فى وقت واحد .

والمحسوسات هى أمور أوقع التصديق بها الحس كقولنا الثلج بارد، فإن العقل المجرد إذا لم يقترن بالحواس، لم يقض بهذه القضايا، وإنما أدركها بواسطة الحواس.

... والمجربات هى أمور أوقع التصديق بها الحس بشركة من القياس أى تحصل من مجموع العقل والحس وذلك أنه إذا تكرر فى إحساسنا وجود شيء لشيء مثل قولنا : " بأن الخمر مسكر . وأن الضرب مؤلم للحيوان الحى ...

والحدسيات التى ينتقل فيها الذهن من المبادئ إلى المطالب ويزيل مع الشك كقولنا : إن نور القمر مستمد من الشمس ...

والقضايا التى عرفت لا بنفسها بل بواسطة وهى ما يحكم فيها العقل بواسطة لا تغيب عن الذهن عند تصور الطرفين كقولنا : الأربعة زوج، بسبب وسط حاضر فى الذهن وهو الإنقسام بمتساويين. فهذا الوسط متصور فى الذهن عند تصور الأربعة زوجا"(٢).

---

(١) المصدر السابق ص ٤٣ .

(٢) انظر ثورة العقل فى الفلسفة العربية د/عاطف العراقى ص ٤٧ – ٥٣ .

" إن هذه الأوليات والبديهيات تسمى عند المسلمين بالمعقولات الأولى أو الفطرية أو الضروريات أو الأوائل المتعارفة"(١).

معنى ذلك أن عند المسلمين لا فرق بين الضروريات والبديهيات فهما مترادفتان . وكذلك فى الفلسفة الحديثة لا فرق بينهما فهما بمعنى واحد .

فالضرورى عند المناطقة أعم وأوسع مجالاً من الأوليات لأن الأوليات جزء من الضروريات والجزء أخص من الكل .

ثانياً : العمومية :

من صفات مبادئ العقل الأولية العمومية ويراد بها عند العقليين شمول هذه المبادئ القبلية ـ الفطرية ـ ومقتضياتها لكل العقول بحيث تكون حقيقة يقينية واحدة عند الناس جميعاً أصحاب العقول المفكرة على السواء .

" فقد أنكر التفاوت بين العقول ابن عقيل الحنبلى ، وبعض الأشاعرة، والمعتزلة فقالوا : إن التكليف عام لجميع ذوى العقول . فإذا أقر وجود التفاوت فكيف يحصل لغير القوى الغرض؟ لأجل النقصان الذى فيه"(٢) .

ولكن الغزالى رفض ذلك وقال بتفاوت العقول عند الناس " أما الأصل وهو الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده"(٣).

وابن تيمية أيضاً يقول أن العقول تقوى وتضعف باختلاف الناس فى قوة الأذهان وضعفها " لأنه من المعلوم أن تفاوت الناس فى قوة الأذهان أعظم من تفاوتهم فى قوى الأبدان"(٤).

---

(١) أسس الفلسفة د/ الطويل ص ٣٤٣ .

(٢) شرح الكوكب المنير/ محمد بن أحمد الفتوحى جـ ١ ص ٨٦ طبعة دار الفكر دمشق ١٤٠٠هـ .

(٣) أحياء علوم الدين جـ ١ ص ٨٨ .

(٤) الرد على المنطقيين ص ٨٩ .

المبحث الثالث

العقل عند المتكلمين

المتكلمون هم الذين قاموا بالدفاع عن العقيدة الإسلامية ، ومن ثم حملوا سلاح العقل بحسب ما وجههم القرآن الكريم ، واستفادوا من الفلاسفة العقليين فى صياغة الأدلة العقلية صياغة منطقية. واعتمادهم على القرآن الكريم والسنة النبوية فى استدلالتهم جعلهم أقرب للفلاسفة المسلمين. "فقد كانوا أكثر حيطة فى معنى العقل إذ عرفوه بأنه مناط التكليف. وفسر الأشعرى مناط التكليف بأنه العلم ببعض الضروريات .

كما عرفه القاضى بأنه العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات ومجارى العادات .

وأما الرازى فقد فسره بأنه صفة غريزية يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات . فاعتباره عندهم صفة أو ميزه غريزية فيه ابتعاد عن اعتباره عضواً أو تسميته جوهراً. إلا ما كان من متأخريهم إذ سموه بالجوهر"[1].

قال الفارابى فى رسالته "معانى العقل :

" وأما العقل الذى يردده المتكلمون على ألسنتهم، فيقولون فى الشىء: هذا مما يوجبه العقل أو ينفيه العقل أو يقبله العقل أو لا يقبله العقل، فإنما يعنون به المشهور فى بادئ الرأى عند الجميع، فإن بادئ الرأى المشترك عند الجميع أو الأكثر يسمونه العقل، وأن تبين ذلك متى استقريت شيئاً مما يتخاطبون فيه وبه أو مما يكتبونه فى كتبهم ويستعملون فيه هذه اللفظة"[2].

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٦٠٧ .

(٢) رسائل للفارابى مطبوعة طبعة القاهرة من ضمنها رسالة فى معانى العقل سنة ٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٧م .

والعقـــل عند المتكلمين لأنه مصدر النظر والاستدلال له أهمية كبرى فعلوم الدين كلها والإيمان أيضاً قائم على التصديق العقلى القائم على البرهان وربط المقدمات بالنتائج والتصديق بما جاء به الوحى من أدلة كونية أو أدلة عقلية تحتاج إلى نظر واستدلال .

" وقد اعتبر علماء الكلام الخبر طريقاً للمعرفة لأن التواتر يفيد العلم القطعى كالبديهيات . وبعد من المقدمات اليقينية للبرهان العقلى . والنبوة أو الخـــبر بطريق الوحى تعتمد على الأدلة العقلية ، لأن العلم بصدق النبى فى دعواه النبوة يعود إلى العقل . ومن ثم كان العلم النظرى عندهم علماً كسبياً أى بطريق العقل والنقل وأعم من أن يكون بالدليل العقلى فحسب، إلا إذا دخل الخـــبر فى هذا الدليل، باعتماده عليه . ومن ثم أضافوا العلوم الشرعية إلى النظر والاستدلال لأن صحة الشرعية مبنية على صحة النبوة، وصحة النبوة معلومة بالنظر والاستدلال . وبينوا لذلك ما يعلم بالعقل وما يعلم بالشرع . فما يعلم بالعقل حدوث الأجسام وأن لها خالقاً عليماً قديراً يجوز عليه إرسال الرســـل ... إلـــخ وما يعلم بالشرع الأوامر والنواهى، وسائر الأخبار التى تـــتحدث عن الجزاء وغير ذلك وقد ردوا اختلاف العقول إلى اختلاف العقلاء فـــيما بينهم، لا إلى التناقض فى قضايا العقل ، أى لقصور عقلهم عن بلوغ درجه النظر العقلى، أو لتقصيرهم فى شرائطه"(١).

وقـــد أدرك الأمام الغزالى الصلة بين النفس الناطقة والروح والقلب والعقـــل، فجعلهـــا جميعاً بمعنى واحد، وإن كان قد تأثر فى تعريفه لها بأنها جوهر، وهو بهذا يعرفها كسائر فلاسفة المسلمين فيقول :

" أعنى بالنفس الناطقة ذلك الجوهر الكامل الفرد الذى ليس من شأنه إلا الـــتذكر والـــتفكر والروية ... وهذا الجوهر رئيس الأرواح . وللنفس الـــناطقة أعـــنى الجوهـــر عند كل قوم اسم خاص . فالحكماء يسمون هذا

---

(١) البداية للصابونى ص ٣٢ .

الجوهــر النفس الناطقة . والقرآن يسميه النفس المطمئنة والروح الأمرى والمتصوفة تسميه القلب.والخلاف فى الأساس والمعنى واحد لا خلاف فيه.

كمــا عرف القلب بمعنيين هما : أولاً : القطعة اللحمية الصنوبرية الشكل المودعة فى الجانب الأيسر من الصدر وهو منبع الروح .

وثانياً : اللطيفة الربانية الروحانية المتعلقة بالقلب الجسمانى . وهذا المعنى هو حقيقة الإنسان المدرك العالم المخاطب المطالب المثاب المعاقب أى موطن التكليف والجزاء ...

كما يعرف العقل بتعريفيين :

أحدهما : يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور، فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محلة خزانة القلب .

وثانــيهما : يراد الدرك العام فيكون القلب أى تلك اللطيفة التى هــى حقــيقة الإنسان. ويعرف النفس فى أحد تعريفاتها بأنها اللطيفة العالمة التى هى حقيقة الإنسان"(١).

إذن العقــل له دور مهم عند المتكلمين لأنه اساس الإيمان بالله عــز وجــل وانبــياءه وكتــبه ورسله كما أنه وسيلة قوية للدفاع عن الشريعة الإسلامية عندهم .

فالمتكلمون جعلوا النظر العقلى كاشفاً للعلوم وحجة على الخصم وطــريقاً للعلم به من جهة الجاهل ، أما العالم فبأشتغاله بالنظر العقلى يزداد إيماناً .

---

(١) انظــر الرســالة اللدنية (مجموعة القصور العوالى) للغزالى جــ ١ ص ١٠١ – ١٠٥ طبعة الجندى القاهرة ١٩٧٠ م .

التحسين والتقبيح :

اختلف العلماء فى تلك المسألة لقولين :

١ – الأشاعرة :

" الأشـــاعرة لا يرون لأفعال الإنسان صفة حقيقية ، تكون بإعتبارها تلـك الأفعال حسنة أو قبيحة، فلا حكم للعقل فى قبح شىء أو حسنه ، بل ما أمر به الشرع، أو لم ينه عنه فهو حسن ــ عرفنا ذلك بعد مجئ الشرع ــ، ومـــا نهى عنه فهو قبيح، ولو انعكس أمر الشارع لانعكس الأمر فيصير ما كان حسناً قبيحاً وبالعكس"[١].

فـــإن الله سبحانه فطر عباده على استحسان الصدق والعدل، والعفة والإحسان ، ومقابلة النعم بالشكر ٠ وفطرهم على استقباح اضدادها٠ ونسبة هذا إلى فطرهم وعقولهم كنسبة الحلو والحامض إلى أذواقهم، وكنسبة رائحة المســك ورائحـــة النتـــن إلـــى مشامهم، وكنسبة الصوت اللذيذ وضده إلى أســماعهم ، وكذلك كل ما يدركونه بمشاعرهم الظاهرة والباطنة٠ فيفرقون بين طيبه وخبيثه، ونافعه وضارة[٢].

٢ – المعتزلة :

وأمـــا المعتزلة وقد كانوا اسبق من الفلاسفة فى زمن وجودهم حيث بـــدأ ظهورهـــم فـــى أوائل القرن الثانى الهجرى فقد كانوا يؤمنون بالشرائع الإسلامية وقاموا بالدفاع والذب عن الشبهات التى أوردها المعاندون للإسلام ولكنهم أسرفوا فى استخدام العقل حتى أنهم فى كثير من الأحيان حادوا عن الطـــريق المســـتقيم وأولوا النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على وفق مذهبهم مستخدمين العقل٠

---

(١) الـــرد علـــى المنطقيين لأحمد بن تيمية ٠ ص ٤٢١ الطبعة الثانية طبعة معارف لاهور ١٣٩٦ هـــ ٠

(٢) مدارج السالكين جـــ ١ ص ٢٥٣ ٠

" وانتهت إلى اعتماد شبه كامل على العقل وإضعاف لقيمة النص بجانبه حيث أصبح الوحى ينظر فيه كسائر المعروضات الفكرية فيقبل منه ويرفض على ضوء العقل لدرجة أن حرارة إيمانهم بالعقل فكراً ومنهجاً جعلهم يبدون آراء جريئة فى القضايا التى تتصل باليوم الآخر ، فاتخذ كثير منهم موقف الإنكار والنفى من عذاب القبر، ومنكر، ونكير، والمسائل الأخرى، وكانوا بذا يقفون بجانب المنطق العقلى على حساب الخبر النقلى"(١) .

المعتزلة يرون أن الحسن والقبح ذاتيان فى الأفعال وأن هاتين الصفتين توجبان الحكم من الله ولو لم ينزل التشريع .

يقول عبد الجبار : " يعلم بالبعثة ما ثبت فى العقل إجماله" ويوضح هذا بقوله : " بأن العقل يدل على وجوب شكر المنعم وعبادته، ولكنه لا يدل على أعيان الأفعال التى بها يعبد، ولا على شروطها، وأوقاتها، وأماكنها"(٢) .

معنى ذلك إنما التحسين والتقبيح إنما يكون لجمل الأفعال لا تفاصيلها، لأن هذا مما لا يستطيعه العقل، ومن ثمَّ فالوحى وحده هو مصدر التحسين والتقبيح فى التفاصيل .

" والحق الذى لا يجد التناقض إليه السبيل أنه لا تلازم بينهما، وأن الأفعال فى نفسها حسنة وقبيحة ، كما أنها نافعة وضارة . والفرق بينهما كالفرق بين المطعومات والمشمومات والمرئيات . ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهى. وقبل ورود الأمر والنهى لا يكون قبيحاً موجباً للعقاب مع قبحه فى نفسه . بل هو فى غاية القبح . والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل . فالسجود للشيطان والأوثان، والكذب والزنا،

---

(١) مصادر المعرفة فى الفكر الدينى والفلسفى ص ٣٧٦ .

(٢) المغنى باب العدل والتوحيد جـ ١٥ ص ٤٤، ١١١ .

والظلم والفواحش . كلها قبيحة في ذاتها، والعقاب عليها مشروط بالشرع ...

وقد دل القرآن الكريم أن لا تلازم بين الأمرين. وأنه لا يعاقب إلا بإرسال الرسل . وأن الفعل نفسه حسن وقبيح ... قال تعالى : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)(١).

وإن أكثر من قدس العقل هم المعتزلة لم يجعلوا في العقل كفاية عن النبوة . بل جعلوا النبوة واجباً يقتضيه العقل بناء على مذهبهم في أن الحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل خلافاً لأهل السنة في أن التحسين والتقبيح باعتبار الشرع لا باعتبار العقل، فقالوا :

" إن البعثة متى حسنت وجبت"(٢).

ولم يمانعوا أن تكون البعثة مؤكدة لما في العقل ومفصلة لما تقرر جملته فيه. ووجهوا الوجوب لما هو مستقر في العقول من أن دفع الضرر عن النفس واجب وجلب النفع إليها حسن، فمجئ الرسل بتقرير ما ركبه الله تعالى في عقولنا ، وتفصيله ليس مخالفاً لما في عقولنا حتى يتعارض معها، وليس في العقل منية عنه، إذ لا يقدح ما تقرر في حصول ما يكون طريقاً إلى الأمر بما ينفع وإلى النهي عما يضر . بل تتأكد الدلالة بطريقين :

أحدهما : العقل، والآخر : السمع، أو الشرع.

كما أنهم يعترفون أيضاً بأن ما من شيء جاء به الشرع من العبادات والتفصيلات إلا وفيه وجه حسن(٣).

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ١٥ . انظر مدارج السالكين جـ ١ ص ٢٥٤ .

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٥٦٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٦٦

" ويرى كثير ممن عبروا عن الحاجة إلى الوحى أو البعثة ، أن فيها تيســيراً على العاقل فيما يمكن وصول العقل إليه، إذ أنه يريحه من ملازمة التفكــير والــنظر الدائــم والبحث الكامل، بحيث لو اشتغل بذلك لتعطل أكثر مصالحه، فيكون التنبيه على ذلك بواسطة الرسل فضلاً ورحمة"[1].

فــالعقل فــى هــذا الميدان ينسجم مع الفطرة السليمة والتشريع هو الهادى والمرشد إلى الصواب إذا أخطأ العقل . فالعقل والتشريع يسيران معاً ويكونا فى وئام فى الفطرة السليمة .

(١) البداية للصابونى ص ٨٦ – ٨٧ .

المبحث الرابع

العقل عند فلاسفة المسلمين

الفلاسفة المسلمون ساروا على المنهج الفلسفى فى اعتبار العقل جزء النفس المدركة . فقد جعله ابن سينا العقل النظرى فى الإدراك الذى يقابل العقل العملى فى الأخلاق وظيفة للروح الإنسانية، فقال :

" الروح الإنسانية هى التى تتمكن من تصور المعنى بحده وحقيقته منفوضاً عنه اللواحق الغريبة مأخوذاً من حيث يشترك فيه الكثير . وذلك بقوة تسمى العقل النظرى وهذه الروح كمرآة وهذا العقل النظرى كصقالها"[١] . .

يقول الفارابى فى رسالته "معانى العقل" :

اسم العقل يقال على أشياء كثيرة منها :

أما العقل الذى يقول به الجمهور فى الإنسان إنه عاقل، فإن مرجع ما يعنون به هو إلى التعقل . وذلك أنهم ربما قالوا فى مثل معاوية أنه كان عاقلاً، وربما امتنعوا أن يسموه عاقلاً . ويقولون إن العاقل محتاج إلى دين، والدين عندهم هو الذى يظنون أنه هو الفضيلة . وهؤلاء إنما يعنون بالعاقل من كان فاضلاً جيد الروية فى استنباط ما ينبغى أن يؤثر من خير أو يجتنب من شر .

ويمتنعون أن يوقعوا هذا الاسم على من كان جيد الروية فى استنباط ما هو شر، بل يسمونه ماكراً أو داهياً وأشباه هذه الأسماء . وجودة الروية فى استنباط ما هو فى الحقيقة خير ليفعل وفى استنباط ما هو شر ليجتنب

---

(١) رسالة فى القوى الإنسانية لابن سينا ص ٦٣ .

هو تعقل. فهؤلاء إنما يعنون بالعقل المعنى الكلى ما يعنيه أرسطو طاليس بالعقل[1] .

والفلاسفة المسلمون يعتقدون "بأن العقل قادر على إدراك الحقيقة، وأن النفس الإنسانية التى تجرد ماهيات الموجودات عن اللواحق الحسية والصور المتخيلة تستطيع فى نظرهم أن تقلب هذه الصور إلى معقولات كلية بتأثير عقل مفارق يطلقون عليه اسم العقل الفعال"[2].

ويشرح الفارابى فكرة الوسائط فى المعرفة التى قد تكون عنده بالحس والتخيل وبالقوة الناطقة أو العقل ويرد كل ذلك إلى العقل الفعال، فيقول :

" وعلم الشىء قد يكون بالقوة الناطقة وقد يكون بالمتخيلة وقد يكون بالإحساس فإذا كان النزوع إلى علم شىء شأنه أن يدرك بالقوة الناطقة ، فإن الفعل الذى ينال به ما تشوق من ذلك يكون قوة ما أخرى فى الناطقة وهى القوة الفكرية وهى التى تكون بها الفكرة والرؤية والتأمل والاستنباط"[3].

ويقول الفارابى عن فكرة الوسائط : " قد يظن أن العقل تحصل فيه صورة الأشياء عند مباشرة الحس للمحسوسات بلا توسط ليس الأمر كذلك. إن بينهما وسائط وهو أن الحس يباشر المحسوسات فتحصل صورها فيه، ويؤديها إلى الحس المشترك حتى تحصل فيه، فيؤدى الحس المشترك تلك الصور إلى التخيل والتخيل إلى قوة التمييز ليعمل التمييز فيها تهذيباً وتنقيحاً

---

(١) رسائل للفارابى مطبوعة طبعة القاهرة من ضمنها رسالة فى معانى العقل سنة ٣٢٥ هـ، ١٩٠٧م .

(٢) تاريخ الفلسفة العربية د/صليبا ص ٢٣، ٢٤ .

(٣) آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى ص ٤٧ ــ ٤٨ .

ويؤديهـــا منقحة إلى العقل، فمبدأ معرفة الأشياء هو الحس. إلا أن المعقول من الشيء وجود مجرد، وهذا الوجود لا يدرك بالحس بل يدرك بالعقل"[١].

فالمعـــرفة العقلـــية لا تـــأتى مباشرة بل عن طريق الحواس وأيضاً الكـــندى قـــد سبق الفارابى فى ذلك حيث جعل الحواس والعقل يشتركان فى عملـــية المعـــرفة فنجده يقول : " العقل هو مباين للحس والوجود الخارجى يحـــتاج العقل لإعمال الفكر فيه ومواصلة معرفته بعد الحواس لتبين حقيقته وكشف قوانينه ويوجد فى هذا العقل الأوائل العقلية المعقولة اضطراراً"[٢].

فهنا يؤكد الكندى عدم فصل الحس عن العقل فالحواس موجودة وجـــوداً خارجـــياً ولكـــنها خاضـــعة لقوة أقوى واكبر منها هى النفس الإنسانية فيقول الكندى :

" ... والأشـــخاص الجزئـــية الهيولانية واقعة تحت الحواس وأما الأجـــناس والأنـــواع فغير واقعة تحت الحواس ولا موجودة وجوداً حسياً بل تحـــت قـــوة مـــن قـــوى الـــنفس التامة أعنى الإنسانية هى المسماة العقل الإنسانى"[٣].

وابـــن رشد لا يختلف عن الفلاسفة المسلمين الذين سبقوه من حيث أن المعـــرفة العقلية تأتى أولاً عن طريق الحواس وتتدرج إلى أن تصل إلى العقـــل الفعـــال فيقول ابن رشد : " نظرية تجريد المعانى الكلية التى تنتهى بانـــتقال العقـــل المادى من القوة إلى الفعل، وهى نظرية مثالية فى الحدس العقلـــى الذى تستطيع النفس الوصول إليه عندما تعلم أنها ذات مستقلة عن الـــبدن وفـــى هـــذه المرحلة الأخيرة ، تعرف النفس ذاتها على أنها صورة مفارقة، أى ذات قائمة بنفسها تحدد للجسم كيانه ووجوده"[٤] .

---

(١) رسالة فى جواب مسائل سئل عنها للفارابى ص ٢٧ .

(٢) رسالته فى الفلسفة الأولى ، ص ١٠٧ .

(٣) المصدر السابق والصفحة .

(٤) نظرية المعرفة عند ابن رشد . د/ محمود قاسم ص ٨ – ٩ .

ونجد ابن رشد يقول بأزلية أو خلود العقل الإنسانى بمظهريه الهيولانى والفعال . " ولما كان العقل الذى بالفعل منا ليس شيئاً أكثر من تصور الترتيب والنظام الموجود فى العالم فى جزء جزء منه ومعرفة شىء شىء مما فيه بأسبابه البعيدة والقريبة حتى العالم بأسره وجب ضرورة ألا يكون ماهية العقل الفاعل لهذا العقل منا غير تصور هذه الأشياء ولذلك ما قيل إن العقل الفاعل يعقل الأشياء التى هنا . لكن يجب أن يكون يعقل هذه الأشياء بجهة أشرف، وإلا لم يكن هنا مغايرة بيننا وبينه . وكيف لا وقد تبين أن العقل منا الذى بالفعل كائن فاسد لتثبته بالهيولى ومعقوله هو أزلى فى غير هيولى ولقصور العقل الذى فينا احتاج فى عقله إلى الحواس . ولذلك متى عد منا حاسة ما عدمنا معقولها وكذلك متى تعذر علينا حس شىء ما فاتنا معقوله"(١).

فى ذلك نجد ابن رشد يجعل كسب المعقولات متوقفاً على التجربة ذلك أنه إذا تأملنا حصول المعقولات لنا، وبخاصة المعقولات التى تأتينا عن طريق التجربة ظهر أننا مضطرون فى حصولها لنا أن نحس أولاً ثم نتخيل ثم بعد ذلك تأتينا النتيجة الكلية . ولذلك من فاتته حاسة من الحواس فاته المعقول الخاص بها، فإن الأعمى لا يعقل الألوان ولا يدركها .

لذلك التفكير العقلى كان السمة الرئيسية فى الفكر الفلسفى الإسلامى لأن القرآن الكريم جمع بين المادة والروح فى طبيعة الوجود بأكمله أى جمع بين الحس والعقل إذ الكون يتسم بالحركة والنظام الآلى وبنيته الرئيسية المادة ، ومسيرة قوانينها عند الواقعية ، بينما يتسم بالمعقولية وبنيته الرئيسية الروح أو الذهن أو العقل عند المثالية .

" وقد حاول بعض الفلاسفة المسلمين إيجاد محل لهذا العقل فى الفكر الإسلامى ، بإلباسه لباساً شرعياً ، فكان الفارابى يسميه الروح الأمين،

---

(١) تلخيص ما بعد الطبيعة لابن رشد ص ١٤٤ – ١٤٥ .

وروح القــدس، كما يرى الغزالى أن النص ورد عليه جلياً فى قوله تعالى : (عَلَّمَــهُ شَــدِيدُ القُــوَى)[(١)] . لأنه يجعل الملك عقلاً، بحكم أنه متجرد عن المــادة، وأن مـــنه تفيض المعرفة على عقل الرسول صلى الله عليه وسلم وعقول من شاء الله"[(٢)].

أما الفلاسفة الإسلاميون حاولوا أن يوفقوا بين العقل والنقل أى بين الفلســفة والوحى وجعلوا الوجود كله يصدر عن الواحد الأحد وأسموه العقل الفعــال، وقــال عــن ذلك ابن رشد : " فإن الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشــهد له ... فالحكمــة هــى صاحبة الشريعة، والأخت الرضيعة، وهما المصطحبتان بالطبع والمتحابتان بالجوهر والغريزة"[(٣)].

والحقــيقة فــى الفلسفة مستوحاه من الدين فعندما يتكلم الفيلسوف المسلم يضع أمام عينيه أمور الدين.

ويحــاول أن يوفــق بين النص الفلسفى والنص الدينى فأحياناً يوفق وكثيراً ما يخفق وذلك رأيى الشخصى.

" إن مــا يأتى عن طريق المخيلة أى : وحى الأنبياء يأتى على شكل أمثال ورموز تغلف بها الحقيقة، وذلك من أجل الرعاع الذين جاءت الشريعة لإصلاحهم، من حيث إنهم لا يستطيعون استيعاب الحقائق بشكلها المجرد كما يدركهــا الفلاســفة ، فجاءت على هذا الوضع المناسب لهم لإصلاح حياتهم العملــية، ومــن ثم فالإتفاق بين الشريعة والفلسفة إنما هو اتفاق بين باطن الشريعة المتخفى وراء ظهورها، وبين قضايا الفلسفة"[(٤)].

---

(١) سورة النجم ، آيه : ٥ .

(٢) الدراسات النفسية عند المسلمين ص ٣١٥ .

(٣) فصل المقال فيما بين الحقيقة والشريعة من اتصال ص ٣٩ – ٤٨ .

(٤) مصادر المعرفة فى الفكر الدينى والفلسفى ص ٣٧٧ .

وبذلك حاول الفلاسفة إخضاع الوحى لسلطان العقل ونسوا أن الله عز وجـل مـا أنزل الوحى إلا لعجز العقول إلى المعرفة الإلهية السليمة الذى ما خلق الإنسان إلا من أجلها .

فـالله عـز وجـل غـنى عن خلقه ولكن خلقهم ليعبدوه فى الأرض ويعـرفوه حق معرفته . وطريق الشريعة طريق مستقيم واضح. أما طريق الفلسـفة مـتعرج كـل على حسب عقله وفكرة أيهما أفضل الطريق الواحد الواضح المستقيم أما الطرق المتعددة ؟

يقول الأستاذ محمد البهى :

" ولـو علم الفلاسفة نتائج قبولهم آراء أفلاطون وأرسطو فى شرح العقـيدة ... لـتركوا للقـرآن وحده الطريق إلى قلوب المصدقين وعقول الخاصة من الناس"[1].

ولكـن علماء السلف رفضوا هذا التوفيق كابن تيمية فهناك فرق بين مـا جاء فى الفكر اليونانى عن العقل وبين ما جاء به الشرع الإسلامى عن العقل . فالعقل عند المسلمين من مصدر عقل يعقل عقلاً وقد يراد به الغريزة الـتى وهـبها الله عـز وجل للإنسان لكى يعلم بها الصواب من الخطأ، أما اليونانيون فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه، وليس هذا يتفق مع لغة القرآن الكريم .

والخلاصـة أن العقـل عند الفلاسفة المسلمين فيطلق على ثلاثة معان:

أولاً : علـى العقل الذى هو التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطـرة أى يطلـق على الأوليات أو البديهيات العقلية دون فكر أو نظر بل بالفطرة دون الاكتساب .

---

(1) الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى ص ٤٠٥ .

ثانياً : العقل العملى وهو مأخوذ من كتاب الأخلاق لأرسطو ويريد به جزء النفس المكتسب من التجربة فيعتاد عليها العقل فتأتى بسهولة ويسر .

ثالثاً : العقل النظرى وأيضاً ذكره أرسطو فى كتاب النفس وساروا على طريقته الفلاسفة المسلمون بنفس تقسيماته ولكنهم اختلفوا فى العقل الفعال هل هو مفارق للإنسان دائماً أم متصل به ؟ .

وللأسف الكثير من فلاسفة المسلمين قلدوا الفلسفة اليونانية فى إفراطهم فى استخدام العقل وإقحامه فى مسائل الوجود وعندهم الوحى المحمدى الذى فسر كل شىء ربما يكون أهل اليونان معذورون لأنهم ليس عندهم وحى ولا نبوة ولكن الفلاسفة المسلمون على أى شىء يعذروا .

" وإنما هو الشىء ــ منهج الفلاسفة العقلى فى الاستدلال ــ أخذتموه عن الفلاسفة، وتابعتموهم عليه، وإنما سلكت الفلاسفة هذه الطريقة لأنهم لا يثبتون النبوات ولا يرون لها حقيقة، فكان أقوى شىء عندهم فى الدلالة على إثبات هذه الأمور ما تعلقوا به من الاستدلال بهذه الأشياء ، فأما مثبتوا النبوات فقد أغناهم الله تعالى عن ذلك كله وكفاهم كلفة المؤنة فى ركوب هذه الطريقة المتعرجة"(١) .

---

(١) رسالة الغنية فى علم الكلام ، أبو احمد الخطابى ص ٩١ .

المبحث الخامس

العقل عند الفقهاء

ان مجال العقل فى الشريعة الإسلامية يتجاوز نطاق التلقى والفهم إلى الإجـتهاد فى إيجاد أحكام لقضايا مستجدة وفق ضوابط معينة، والكلام على عمل العقل يكون فى نقطتين هما :

المعـرفة الفطـرية بالحسن والقبح وذلك عند المتكلمين ، والإجتهاد عند الفقهاء .

الإجتهاد :

هـو عمل العقل فى النصوص الشرعية من أجل تطبيقها على أرض الواقـع بيـن النـاس . واستخراج الحكم من تلك النصوص وتبسيطها لمن يحتاج فى فهمها إلى تبسيط .

والاجتهاد عند الأصوليين هو : " بذل الجهد العقلى من قبل الفقيه لمعرفة حكم الشرع من خلال دراسة النصوص، سواء كانت صريحة، أو غير صـريحة ، إمـا مباشرة، أو بواسطة ما اعتبر حجة شرعية، مثل القياس، والاستصلاح، وتنزيل هذا الحكم الشرعى على الأحداث"[١].

الاجتهاد له عدة تعريفات أخرى منها :

" بـذل الوسع فى نيل حكم شرعى عملى بطريق الاستنباط . وقيل : هو استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعى .

ويلاحظ أن هذا التعريف قد زاد الظن لأنه لا اجتهاد فى القطعيات .

---

(١) الإجـتهاد ومـدى حاجتـنا إليه فى هذا العصر ص ٩٨/ سيد محمد الأفغانى طبع مطابع المدنى بمصر ، نشر دار الكتب الحديثة ــ القاهرة .

وقال ابو بكر الرازى " إن الاجتهاد يقع على ثلاث معان :

أحدهما : القياس الشرعى لأن العلة لما لم تكن موجبة للحكم لجواز وجودها خالية عنه لم يوجب ذلك العلم بالمطلوب فذلك كان طريقه الإجتهاد ٠

والثانى : ما يغلب فى الظن من غير علة كالإجتهاد فى الوقت والقبلة ٠

والثالث : الاستدلال بالأصول[1] ٠

كل هذه التعريفات تعنى أن يبذل الفقيه غاية وسعه لإستنباط أحكام شرعية لم يرد بها النص ٠وذلك يتطلب عقل واعى عالم بأحكام الشرع٠ ولابد للعقل المتصدى لهذا العمل أن يكون مستوفياً شروطاً تؤهله للقيام به، إذ لا يكفى اعتماد العقل على طاقته الذاتية، أو ثقافته العامة، لأن الإجتهاد ليس عملاً حراً يقوم به العقل فى وضع نظام بإزاء نظام الشريعة الإسلامية، وإنما هو : فهم لهذه الشريعة، وتفريع لما جاءت به، وتطبيق لهذه الأحكام المستقاه من الشريعة على الحياة البشرية ٠

ومن أهم ما ينبغى على المسلم الإتصاف به ليكون مخولاً للاجتهاد :

- العلم باللغة العربية، لأنها اللغة التى جاءت بها نصوص الشريعة٠
- التضلع من علوم القرآن ، والسنة حتى يعرف أحكامها الفرعية وقواعد الشريعة الكلية، ومقاصدها من الأحكام ٠
- الوقوف على التراث الفقهى والأصولى ليعرف من خلاله مناهج الإستنباط ، ومواضع الإجماع، وأقوال الأئمة، والعلماء المشهورين٠
- معرفة مسائل الحياة العملية ، وظروفها ، وملابساتها، لأن الحكم الشرعى سيطبق عليها من خلالها[2].

---

(١) منتهى الوصول والأمل لابن الحاجب ص ١٥٦ ٠

(٢) مصادر المعرفة فى الفكر الدينى والفلسفى ص ٤٢٧ ٠

نخلص من ذلك أن عمل العقل فى شيئين :

الأول : استخراج الحكم الشرعى من النصوص ٠

الثانى : تطبيق الأحكام الشرعية على وقائع الحياة ٠

استخراج الحكم من النصوص :

الاجتهاد هنا قد يكون بحثاً عن أحكام مصرح بها فى النصوص الشرعية، أو غير مصرح بها أى تكون بالقياس على أحكام غيرها مماثلة لها ٠

ففى الأول :

عليه أن يتأكد أن هذا الوحى نص فى الحكم، وأن لا معارض له، وإن لم يكن نصاً فعليه أن يستجليه من خلال إجراء المنهج الذى يعرف به دلالات الألفاظ ، والنصوص ومدى وضوحها وصفاتها، مراعياً قواعد الشريعة وعمومياتها ٠ ويدخل فى هذا الاجتهاد فى علل الأحكام الشرعية بتحقيقها وتنقيحها وتخريجها ٠

وفى الثانى :

يسلك العقل الوسائل التى يستطيع بها إنشاء أحكام جديدة لمسائل حادثة ، وهى الوسائل التى أرشد الشرع إلى الإهتداء بها فى الإستنباط كالقياس، والاستحسان ، ونحوها ، وهذه الوسائل لا تعدو أن تكون مناهج تربط هذه الأحكام المستحدثة بالشريعة ، لتكون أحكاماً شرعية عن طريق العلل، والإدراج تحت القواعد الشرعية الهامة، ونحو ذلك[١].

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢٨ – ٤٢٩ ٠

تطبيق الأحكام الشرعية على وقائع الحياة :

بعـد أن تعـرف العقل على الأحكام والنصوص الشرعية فى الكتاب والسنة بقى تطبيق هذه الأحكام على واقع الحياة العملية لأن الشريعة جاءت لتنظم علاقة العبد مع ربه وعلاقة العباد بعضهم مع بعض فى الحياة.

قـال عن ذلك الشاطبى : " إن الحكم بعد أن يثبت بمدركه الشرعى يـبقى النظر فى تعيين محله ... وذلك أن الشريعةَ لم تنص على حكم كل جزئية على حدتها ، وإنما أتت بأمور كلية، وعبارات مطلقة، تتناول أعداداً لا تنحصـر، ومـع ذلـك فلكل معين خصوصية ليست فى غيره، ويسمى هذا الإجـتهاد ، الاجتهاد الذى لا ينقطع ، إذ لو فرض ارتفاعه، لم تتنزل الأحكام الشرعية على أفعال المكلفين إلا فى الذهن لأنها مطلقات، والأفعال لا تقع فى الوجـود مطلقة، وإنما تقع معينة مشخصة، فلا يكون الحكم واقعاً عليها إلا بعد المعرفة بأن هذا المعين يشمله ذلك المطلق، أو ذلك العام)[١].

لذلـك تفاوتت الأحكام بتفاوت الزمان والمكان لأن الواقع أصبح يفرز مشـكلات ومسـتحدثات فقهية لم تكن موجودة فى زمن نزول التشريع مثل المخدرات بأنواعها وأطفال الشوارع ومنتجات زراعية مختلفة ... إلخ .

خلاصـة القول أن الله عز وجل وضع فى فطرة الإنسان معرفة الحسـن والقـبح، الظلم والعدل ، وجعل له العقل هادياً ومرشداً بجانب الشرع وأوامره ونواهيه .

ومـن سـكت عـنه الشرع طلب من أولوا العلم والعقول النيرة أن يحكمـوا بعقولهـم شريطة ألا يأتوا بما يخالف النص الصريح الذى ذكر فى القرآن أو السنة .

---

(١) الموافقات للشاطبى جـ ٤ ص ٩٠ .

المبحث السادس

العقل فى ميدانى العقيدة والشريعة

العقل فى ميدان العقيدة :

العقيدة هى ما يتدين به الإنسان فى ضميره وقلبه سواء كان صحيحاً أو فاسداً ولها دور مهم فى حياة الإنسان إذ لا يستطيع أنسان أن يعيش بدونها فهى مفطورة مع الإنسان .

" والعقيدة فى الاصطلاح هى : الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى صاحبه .

والعقيدة فى الدين : تطلق على ما يقصد به التصور الفكرى دون العمل وإن قام عليه العمل"(١).

وفى المعجم الفلسفى : " فإن العقيدة هى ما يتدين به الإنسان من تصور لما وراء عالم الشهادة كتصوره لبداية العالم، ومصيره وقضايا الإلهية، وباقى العوالم الغيبية ، والعلاقات بينهما وبين الإنسان"(٢).

ومن أبرز قضايا العقيدة :

الإلهيات : وهى ما يتعلق بالله من حيث ربوبيته ، ووحدانيته وأسماؤه، وصفاته .

النبوات : وهى ما يتعلق بالأنبياء ، وعصمتهم ، والحاجة إلى رسالاتهم وما جاءوا به من معجزات وكتب .

الغيبيات أو السمعيات : كالملائكة والجن والروح وحياة الآخرة من بداية دخول القبر إلى الاستقرار فى ما كتبه الله على الانسان من جنة أو نار نعوذ بالله منها .

---

(١) انظر المعجم الوسيط ، مادة عقد .

(٢) المعجم الفلسفى جـ ٢ ص ٩٢ .

نسبية الإدراك العقلى فى قضايا العقيدة :

فـالعقل منحة ونعمة من الله عز وجل أودعها رب العزة فى الإنسان لتميـيز الصواب من الخطأ، الصحيح من الفاسد المعرفة فيه محدودة نسبية بالنسـبة لعلـم الله المطلق الذى أودع فى كل انسان نسبة منه يعلم ويتعلم ويعـتقد بهـا ويهـتدى بها إلى خالق الأكوان الرحمن " وحيث إن المعرفة الإنسـانية تعليم من الله للإنسان فلا يصح أن تدعى هذه المعرفة أنها كاملة ومطلقـة ، ذلـك لأن طبيعة الإنسان عاجزة وقاصرة عن إيجاد نفسها، فهى محتاجة إلى الله سبحانه فى أصل خلقتها ، ومن ثم فكينونته العارفة محتاجة إلـى الله سـبحانه فى استعدادها وقدرتها على التعلم ، ومحتاجة إلى ميدان تمارس فيه مهمة المعرفة . والله عز وجل هو العليم وعلام الغيوب، وعالم الغيـب والشـهادة، والإنسان إنما يعيش فى عالم الشهادة وينتهى إلى عالم الغيـب، ولهـذا فالمعرفة اللازمة له للقيام بدوره فى الحياة إنما هى معرفة تحـتاجها مهمته وهى الإقرار أولاً بعالم الشهادة ، والغيب ، والعلم عن عالم الغيـب بما يدفعه للعمل والتعامل مع عالم الشهادة ، ومعرفة عالم الشهادة، وذلـك الميدان الفسيح الذى يمارس فيه عمله ودوره . ولهذا كانت معرفته نسـبية بمعـنى أنها معطاة له من الله بنسبة محدودة، سواء بطريق الحس والعقـل أو بطـريق الوحـى . كمـا قال تعالى : (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) (١)، وقال عز وجل : (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)(٢)(٣) .

إذن المعرفة العقلية لا تمثل علماً مطلقاً كاملاً لأن ذلك من صفات علم الله عز وجل ولكن معرفة محدودة نسبية تختلف من شخص لآخر حسب قواه العقلية .

---

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٨٥ .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ٧٦ .

(٣) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٤٧٢ .

يقول الشاطبى : " إن الله جعل للعقول فى إدراكها حداً تنتهى إليه لا تـتعداه، ولـم يجعـل لها سبيلاً إلى الإدراك فى كل مطلوب ولو كانت كذلك لاستوت مع البارى تعالى فى إدراك جميع ما كان وما يكون وما لا يكون، لو كان كيف يكون ، فالشىء الواحد من جملة الأشياء، يعلمه البارى تعالى على الـتمام والكمـال، بحيث لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، لا فى ذاته، ولا فى صفاته، ولا فى أحكامه، ولا فى أحواله، بخلاف العبد، فإن علمه بذلك الشىء قاصر ناقص"(١).

ويقـول ابـن تيمـية فـى درء التعارض : " ما أوجب الله فيه العلم واليقيـن وجـب فيه ما أوجبه الله من ذلك ، كقوله :(اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ)(٢) وقوله : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاستَغْفِرْ لِذَنْبِكَ)(٣).

وكذلـك يجـب الإيمـان بمـا أوجـب الله الإيمان به، وقد تقرر فى الشـريعة : أن الوجـوب متعلق باستطاعة العبد كقوله تعالى : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)(٤) وقوله عليه الصلاة والسلام : " إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما أسـتطعتم"(٥). فإذا كان كثير مما تنازعت فيه الأمة من هذه المسائل الدقيقة، قـد يكون عند كثير من الناس مشتبهاً لا يقدر فيه على دليل يفيد اليقين، لا شـرعى، ولا غـيره، لم يجب على مثل هذا فى ذلك ما لا يقدر عليه، وليس عليه أن يترك ما يقدر عليه من إعتقاد قول غالب على ظنه لعجزه عن تمام اليقين بل ذلك هو الذى يقدر عليه"(٦).

---

(١) الاعتصـام • إبراهيم بن موسى الشاطبى جـ ٢ ص ٣١٨ •مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر • بيروت • لبنان •

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٩٨ •

(٣) سورة محمد، الآية : ١٩ •

(٤) سورة التغابن ، الآية : ١٦ •

(٥) صحيح البخارى جـ ٨ ص ١٤٢ •

(٦) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية جـ ١ ص ٥٣ •

لذلـك نجـد أن الإمام الغزالى رحمه الله ذكر عدة مراتب مؤدية للإيمان فى كتابه إلجام العوام عن علم الكلام.

١ - بالبرهان المستقصى المستوفى شروطه المحرر أصوله ومقدماته درجة درجة ، وكلمة كلمة، حتى لا يبقى مجال لإحتمال، وتمكن إلتباس.

٢ - الأدلة الوهمية المبنية على المسلمات والمشهورات .

٣ - الأدلة الخطابية، وهى الأدلة التى تناجى الفطرة ، مثل أدلة القرآن ...

٤ - التصديق لمجرد السماع من الموثوق بعلمه .

٥ - التصديق لمجرد سماع الشىء مع قرائن لا تفيد القطع .

٦ - التصديق لمجرد موافقة المسموع مزاج السامع .

... ولكن المتكلمين لا يرون تحقق المعرفة إلا عن المرتبة الأولى، مـن السـت، قـال الغزالى حاكياً عنهم ما يرونه فى تلك المراتب الخمس ، قالوا : " نحن لا ننكر حصول التصديق الجازم فى قلوب العوام بهذه الأسباب، ولكن ليس ذلك من المعرفة فى شىء، وقد كلف الناس المعرفة الحقيقية دون اعتقاد هو من جنس الجهل"(١) .

فالله عز وجل سهل طرق معرفته حسب عقول البشر فكل عقل بشرى يسـتطيع أن يصل إلى معرفة بارئه من الطريق الذى يرتاح إليه ويأنس به دون تحقير أو تصغير .

"فـالإدراك المطلوب إنما يتعلق من تلك الحقائق بإثبات وجودها، أو وجـود مـا أثبت لها، وما يترتب عليه من آثار، وصفات، دون تقحم إلى ما وراء ذلك، بتعقل الكيفيات التى عليها هذه الأشياء الغيبية ، لأن العقل قاصر عـن التكييـف الصـحيح لهذه الأشياء بحكم أنها خارجة عن نطاق الزمان،

(١) انظر إلجام العوام عن علم الكلام ص ٤٠ ، ٤٢ .

والمكـــان ، والمادة ، المحدود بها عقل الإنسان، والذى لا يستطيع تجاوزها، مهمـــا حلق به الخيال ، لأنه سيركب تصوراً لماهية هذه الأشياء من الأجزاء الـتى يأخذهـــا من عالم المادة، ولهذا نـهى الشرع والسلف عن ذلك كما قال سـبحانه : (لَـيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[١]، وقال أيضاً : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)[٢] وكما جاء عنه صلى الله عليه وسلم : " تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا"[٣][٤].

فبذلك يعجز العقل عن إدراك ماهيات أشياء بين يديه ظاهرة فهو يعلم الظواهـــر مـــنها ولكـــن حقيقة ماهيتها لا يستطيع العقل إدراكها لذلك يقول "كانـــت" : " إنـــنا لا نعـــرف الأشـــياء كمـــا هى فى ذاتها ، ولكن فقط كما تظهر لنا"[٥].

" وحقيقة الأمر أن هذا الصراع المعرفى فى طريق المعرفة ، إنما هو تـــبع للصـــراع العقـــدى أو تبع لصراع النظرة فى الوجود . فالمادية تجعل الحـــس طريقاً وحيداً ومن ثم فلا إيمان بالله ولا بعالم الغيب. والعقلية تجعل العقـــل وحـــيداً ولكنها تشتط فتجعل الألوهية لا تعدو أن تكون فكرة عقـــلية. والـــنقدية تجمـــع بين المذهبين فتنصف العقل فى أن تجعل له دوراً فى عالم الشـــهادة ولكـــنها تقطع صلته ودوره بعالم الغيب ، فلا تجعل للعقل النظرى ــ بتعبيرها ــ إمكانية الاستدلال على عالم الغيب بينما جعل القرآن فى قدرة العقـــل أن يـــنظم عـــالم الشهادة ويؤمن بعالم الغيب . ولكنه لا يخرج على طبيعته وانحساره فى أنه مخلوق لله عز وجل . والمعرفة فى عالم الغيب لا ســـبيل إلى تفاصيلها فى عالم الشهادة، والعقل الإنسانى مع روحانيته يعيش

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(٢) سورة الاسراء، الآية : ٨٥ .

(٣) صحيحه الألبانى فى الأحاديث الصحيحة حديث رقم ١٧٨٨ .

(٤) مصادر المعرفة فى الفكر الدينى والفلسفى ص ٤١١ .

(٥) مدخل جديد إلى الفلسفة ص ١٢٤ .

فـــى عـــالم الشـــهادة، فمن ثم من أين تكون له معرفة تفصيلية بعالم الغيب وقوانينه التى ليست فى متناول العقل ليفكر فيها، كما أن مفرداته ليست فى عـــالم الشهادة حتى يتقدم العقل والحواس لمعرفتها. ولذا فإن دور الإنسان فـــى هذه الحياة عابد لله سبحانه، يحتاج لأن يعرف عن عالم الغيب ما يوجه مسيرته فى الحياة الدنيا، وما يدفعه للعمل ولتصور ما يستقر عليه حاله بعد ذلك"(١).

العقيدة عند العقليين :

يـــرى العقليون على مر العصور أن العقل البشرى هو مصدر معرفة ما وراء الطبيعة من موجودات أى أنهم قدموا العقل على النقل (الوحى) . فمـــنهم مـــن قـــدم العقل على النقل ومنهم من جعل العقل مؤيداً للنقل وذلك للمؤمنيـــن مـــن أصحاب الكتب السماوية أما الملحدون فقد قدموا العقل فى المعرفة وأنكروا وجود الوحى .

وقالوا فى العقل الكفاية للمعرفة . فمن ذلك " نظرية البراهمة الهنود فـــى النـــبوة، حيـــث تقوم عقيدتهم على إثبات وجود الله وتوحيده فى أصل فلسفتهم ، ولكنهم يرفضون القول بالنبوة والوحى، وحجتهم فى ذلك، أن كل ما جاء به الوحى :

- إما أن يكون موافقاً للعقل، ففيه عنه غنية .
- أو غير ذلك فيجب رده .

لأن العقـــل هـــو المـــيزان الذى أعطاه الله الإنسان ، فهو قادر على معرفة الحسن والقبح ، ثم إن من يزعمون أنهم أنبياء يأتون بمعانى مخالفة لما يعرفه العقل، فينبغى من ثَّم إنكار النبوة"(٢).

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٦٢٩ .

(٢) مصادر المعرفة فى الفكر الدينى والفلسفى ص ٣٧٢ .

وذكـــر القاضـــى عبد الجبار دليلهم على إنكار بعثة الأنبياء والرسل فقـــال : " العلوم لا تتناقض ... وكما أنها لا تتناقض فكذلك الأدلة ، لأنها طـــرق هذه العلوم ، فلو تناقضت لأوجب ذلك تناقض العلوم ، وعدم الوثوق بها مما ينتهى بالناس إلى مذهب السوفسطائية فإذا كانت بعثة الرسل تقتضى إخـــبار الـــناس وأمرهم بما ليس فى عقولهم ، فيجب القول بفساد بعثتهم ، لأنها تتضمن مخالفة العقول"(١).

فهنا البراهمة يحصرون العقيدة فى فطرتهم المخلوقة فى العقل الذى هو وحده يستطيع أن يميز الصواب من الخطأ فوجود الأنبياء عبث والله عز وجل منزه عن خلق العبث . أما فلاسفة اليونان فالعقل عندهم يأخذ المرتبة الأولـــى لأنهـــم لم يكن عندهم انبياء، فالكون كله خاضع لقانون ثابت ونظام دقـــيق لا يحيد عنه وهذا النظام لا يفسر إلا من خلال العقل وذلك أمر طبيعى لأنهـــم لـــم يكـــن لديهم أنبياء ولو أن أفلاطون تعلم بعض الوقت فى مصر والنـــبوة لم تنقطع فى الشرق فمن الضرورى أن يكون قد سمع عن ذلك . " والله ــ نفسه ــ جعلوه مقيداً بسلسلة من القوانين، والأنظمة لا تدع له مجالاً للحـــرية والأختـــيار ، ومـــا هذا النظام الذى تخضع له الأشياء والموجودات جميعاً وما القانون الذى يسير وفقاً له إلا قانون العقل، فالعقل قانون الأشياء، والأشياء تسير وفقاً له)(٢).

ويقول الامام الغزالى :

" إن العقـــل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع المطالب ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المعضلات"(٣).

---

(١) المغنى فى ابواب العدل والتوحيد لعبد الجبار الهمذانى جـ ١٥ ص ١٠٩ ــ ١١٠ تحقيق محمـــود الخضـــيرى، ومحمـــود محمـــد قاســـم طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة . بمصر .

(٢) مـــن الفلســـفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية/ محمد بن عبد الرحمن مرحبا ص ٧٥ ط الثانية بيروت

(٣) المنقذ من الضلال ص ٥٧ .

" فـالعقل فـى عالم الشهادة له سيادة بما جعل الله له من طاقات ، ولكـنه محـدود وعاجز عن معرفة كنه الأشياء وحقيقتها النهائية . وجعل القـرآن له مـنهجاً يربـيه فى عمله فى عالم الشهادة بما ينفعه فى الإيمان وتأكيده وتثبيته وبما يدعم مسيرته ويحقق هدفه من الاستخلاف على الأرض وعمارتها بعبادة الله .

أمـا فى عالم الغيب ، فالعقل لا قيمة له سوى الاستدلال على وجوده والاحتـياج للوحى ، والتسليم التام لما يقدمه من معلومات . وله قيمة كذلك فى فهم النصوص الشرعية بعد إثباتها . ولكن ليست له سلطة الحكم النهائية فى حقيقة النصوص وهو ليس نداً للشرع .

وهـو بهـذا إنمـا يقف عند حدود التكريم الربانى له كأداة عظيمة للإدراك البشرى . وكموضوع تكريم من الله للإنسان يكل إليه القرآن إدراك الحقـيقة الأولى، وهى الايمان بالله، ويكل إليه الحقيقة الثانية، وهى أن هذا الديـن مـن عـند الله ، أى أن فى مجاله إثبات النبوة، ومتى أصبحت هذه القـاعدة الكبيرة مسلماً بها لدى العقل، فقد أصبح من منطق العقل نفسه أن يسـلم بعـد ذلك تلقائياً بكل ما ورد فى الدين لا يهم عندئذ أن يدرك حكمته الخفية، أو لا يدركها"(١).

وهـناك فـرق كبـير بين منـهج القرآن الكريم والتشريع وبين المنـهج العقلى من أبرزها :

ـ أن أدلــة القــرآن الكـريم فطرية ومباشرة خلافاً للأدلة المنطقية العقلية تحتاج مقدمات طويلة حتى تصل إلى النتيجة والنتيجة محتملة الخطأ أمـا القرآن فنتيجته يقينية لا تحتمل الخطأ لأنها من عند رب العالمين الذى أحـاط بكل شىء علماً . كما أن معانى الفلسفة تجريدية أما القرآن يتحدث عـن أمـور مشخصـة مشاهدة حتى عندما تحدث عن عالم الغيب من جنة

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٦٥٤ .

ونـــار .. إلـــخ كـــأنك تشـــاهد ذلك حتى ولو لم تره . من أجل ذلك يخاف الإنســـان أن يعمل عمل يوقع به فى النار ويعمل الصالحات.من أجل الوصول إلى الجنة وهو لم يراها وإنما وصفها له القرآن الكريم

– القوة الإقناعية فى الأدلة القرآنية قوية لأنك لا تملك من نفسك إلا التسـليم ما عدا المعاند الذى يعلم صدقها ويعاند أما الطرق العقلية فملتويه وتجعل النفس غير مستقرة ولا مطمئنة

وجـــاء فـــى شرح العقيدة الطحاوية : " لقد تأملت الطرق الكلامية والمـــناهج الفلســـفية فمـــا رأيتها تشفى عليلاً ولا تروى غليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن"[1].

– أن غايـــة الوحـــى أشـــرف الغايـــات وهى الإيمان بالله عز وجل وإطاعـــته فى أوامره ونواهيه للوصول إلى رضوان الله الموصل فى النهاية إلى النعيم المقيم فى الجنة .

أمـــا المـــنهج العقلى الفلسفى لا يبحث إلا فى المعرفة المجردة التى يصـــل بها فى اعتقاد الفيلسوف إلى الحقيقة . وغالباً لا يصل فهو يتعثر فى الطريق .

لا نـــنكر أن للعقل دوره فى فهم ما يأتى به القرآن الكريم ولكن هو مخلوق لا ينفرد بكل ما يأتى به الله عز وجل من حقائق فمن الضرورى من وجود الوحى كهادى للعقل من أجل الوصول إلى الطريق السليم .

العقل فى ميدان الشريعة :

تعـــريف الشـــريعة : هى ما بعث الله به رسوله لعباده من الأحكام، والعقائد ، فهى تشمل بهذا المفهوم الأحكام الاعتقادية، والخلقية، والعبادات، والمعاملات[2].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / محمد بن أبى العز الحنفى ص ٢٢٧ . ط السادسة ١٤٠٠ هـ المكتب الإسلامى . بيروت .

(٢) انظر الصحاح مادة : شرع .

قال تعالى : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً)[1] وجاءت الأديان السماوية جميعها بشرائع توضح كيف يسير الإنسان فى أموره الاعتقادية والعبادية لله عز وجل وطريقة معاملاته مع الآخرين .

ولكن ما دور العقل فى تلك الشرائع ؟ هل يسير مع الشريعة أم له رأى آخر؟

نرى (كانت) أرجع القدرة على التشريع الأخلاقى إلى العقل المجرد الصافى لا العقل فى صورته الأكثر صفاء وتجريداً ، حيث يحكم الأشياء بقانون عدم التناقض"[2].

وأيضاً القانون الطبيعى عند الاتجاه العقلى يجعل العقل يستنتج مجموعة من القواعد يسير عليها حتى يتوائم مع نسق الطبيعة والتكيف مع الإطار الخارجى الذى يعيش فيه الإنسان .

يقول د/ جعفر عبد السلام " أن هناك نسقاً منطقياً تقود إليه طبيعة الأشياء، ويمكن على أساسه إستخلاص مجموعة من القواعد تؤدى فى النهاية إلى تحقيق العدالة بين الناس، وبعبارة أخرى : فالقانون الطبيعى مجموعة من القواعد التى يكشف عنها العقل السليم ، ويمكن على أساسه الحكم على عمل ما بأنه عادل أو ظالم"[3].

وجاءت العلمانية وفصلت الدين عن الحياة وقالت يكفى العقل أن يكون الحكم والفيصل فى كل الأمور لأنه يمتلك تلك المقدرة " فالمذهب العقلى يتجه نحو إزالة الله وما فوق الطبيعة من الكون ... فإن نمو المعرفة العلمية وازدياد الاستخدام البارع للأساليب العلمية يرتبط بشدة مع نمو الوضع العقلى نحو الكون"[4].

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ .

(٢) دستور الأخلاق فى القرآن . د/ محمد عبد الله دراز ص ٣٣ .

(٣) قواعد العلاقات الدولية . د/ جعفر عبد السلام ص ٩٤ .

(٤) منشأ الفكر الحديث . برنتون ترجمة عبد الرحمن مراد ص ١٠٣ .

فالديـن والعلـم لم يتنافرا أبداً كما تعتقد العلمانية فالدين يساند العلم ويشـجعه والعلـم يؤيد ما جاء به الدين ويصدقه عن طريق النتائج العلمية والديـن عاصـم للعقل من الخطأ والزلل لأن العقول متفاوتة ولا تستطيع كل العقول الوصول إلى الحقيقة، كما ينبغى أن تكون بدون هداية الدين والحقيقة دائماً تصل بالعالم للتصديق بما جاء به الوحى لأن نتائجه مطابقة له تماماً . ونجـد د/محمد قطب يوضح تلك المسألة قائلاً : " إن الدين والعلم ليسا ندين متنافرين متعاديين كل منهما يسعى للسيطرة على حساب الآخر ورغماً عنه، فـنزعة العـبادة ونـزعة المعرفة كلتاهما نزعة فطرية، والفطرة فى النفس السـوية لا يتـنافر بعضـها مع بعض، إنما تتعاون جوانبها المختلفة لبناء الشخصـية السوية المتوازنة . وقد تختل الشخصية لزيادة أو نقص فى أحد الجوانـب بالقياس إلى حده المفروض . وبالقياس إلى الجوانب الأخرى فى النفس ، ولكنها لا تختل قط من اجتماع جوانب الفطرة كلها فى النفس، فهذا هـو الأمـر الطبـيعى الـذى لا تسـتقيم الـنفس بدونـه، بل العكس هو الصـحيح . تختل النفس خللاً مؤكداً حين يزاح جانب من جوانب الفطرة أو يضمر ليحل محله جانب آخر .

وفـى العـالم الإسلامى الذى إستقت أوروبا العلم منه ، كان هذا هو الأمر الواقع، كان الدين والعلم يعيشان معاً متساندين متعاونين بلا تنازع ولا تـنافر ولا خصـام . بـل كان العلم فى حقيقة الأمر نابعاً من العقيدة منبثقاً عنها، يعمل فى خدمتها، ومع ذلك كان له ذلك المجال الواسع كله الذى يعمل فـيه، والحرية التى يمارسها فى البحث وتحصيل النتائج وتدوينها، والثمار العملية المفيدة التى تقوم عليها نهضة علمية زاهرة"(١).

فـإذن التشـريع الإلهـى يفـوق التشريع الوضعى وذلك واضح فى تضـارب أقـوال الفلاسـفة والمفكرين بين مؤيدين ومعارضين فى المسألة

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة . محمد قطب ص ٥١٧ – ٥١٨ .

الواحـــدة لأن عقولهم فى إدراك الأشياء مختلفة ، أما التشريع الذى جاء عن طريق الوحى يورث الطمأنينة والتسليم فى النفوس البشرية السليمة .

" فالوحى بصفته جزءاً من علم الله سبحانه وتعالى له ما لهذه الصفة مـــن كونهـــا مطلقـــة ، غير محدودة ، فعلم الله تبارك وتعالى يتخطى حدود الـــزمان والمكان، ولا يعجزه ميدان من ميادين المعرفة، خلافاً للعلم البشرى المقـــيد بحدود الزمان والمكان، والناشىء من ملكات الإنسان المحدودة. من هنا إمتاز ما قدمه الوحى من علم بأنه يقين مطلق سواء كان ذلك فيما أخبر به مما وقع ماضياً أو حاضراً وقت نزوله أو فيما يستقبل من الزمان أو فيما أثبـــته مـــن حقائق العلم الغيبى أو سنن الكون أو غير ذلك. وقد قدم الوحى علمـــاً جماً فى كثير من هذه المجالات التى أفلست المصادر الأخرى البشرية من تقديم شىء يقينى فيها تتفق كلمتها أو كلمة مصدر منها ـ فيها .

وأعظم هذه المجالات ، مجال ما وراء الطبيعة، الذى تخبطت الفلسفة فـــيه كثـــيراً ، وبذلـــت جهوداً مضنية لوضع تصور حقيقى لا يعتريه الشك، ولكـــنها لـــم تســـتطع بلوغ ذلك، وأعلن كثير من الفلاسفة المتأخرين عجز مصادرهم عن الوصول إلى يقين"[1].

فالوحى جاء بالتشريع والعقل يقوم على شرح وتفصيل ذلك التشريع عن طريق الاجتهاد . فالعقل فى ميدان التشريع وسيلة لإستقاء الأحكام من النصـــوص على ضوء الشروط المطلوبة فيه ووفق الضوابط والأصول التى حددها له الشارع الكريم .

وهناك شروط يجب أن تتوافر فى العقل ضرورية وهى :

" ١ – العلم بحقيقة الإنسان كما هى فى نفس الأمر .

٢ – العلم بحقيقة الخير والشر على الإجمال والتفصيل .

---

(١) مصادر المعرفة فى الفكر الدينى والفلسفى ص ١٥١ – ١٥٢ .

٣ – العلم اليقينى بما ستكون عليه الحياة البشرية فى مستقبلها .

وقد تبين من خلال ما وجهته الدراسات النقدية للعقل أنه مخفق *فى الوفاء بتلك الشروط جميعاً* حيث :

أ – بقى الإنسان عصياً على فهم العقل البشرى له ، لما ينطوى عليه من جانب روحى غيبى – ميتافيزيقى لا يخضع لمناهج العقل التحليلية .

ب – وأخفقت معايير القيم الخلقية وقوانين الأنظمة عن إقامة السلوك البشرى على نحو تتحقق به سعادة الإنسان وأمنه .

جـ – ولم يتجاوز – هذا العقل – حكمه على مستقبل الحياة البشرية المتفردة فى أحداثها – خلافاً للمادة – الظن والتخمين .

د – تحرر العقل من التأثر بالأشياء الخارجية ، بحيث لا يكون لها تأثير على ما يقدمه من أحكام"(١) .

فالقانون الوضعى الذى يجئ عن طريق عقل بعض الأفراد غالباً ما يكون خاضعاً إما لسلطة سياسية أو اقتصادية أو بيئية فيعجز العقل عن تحقيق العدالة لكل الناس . إذن من الضرورى البحث عن مصدر آخر تتساوى فيه الناس جميعاً ولا تتعارض مصالح الناس به فلا يكون ذلك إلا من خالق الناس جميعاً لأنه هو الذى يعلم ما يصلح شئونهم قال تعالى: (إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الهُدَى)(٢) .

" ونلاحظ أن "كانت" نفسه يعترف بعجز نقده عن تحديد الواجبات الإنسانية بخاصة ، وهى الواجبات التى يعد تقسيمها من مهمة نظام العلم، لا من مهمة نظام نقد العقل بعامة، فإن هذا النظام لا يستتبع أى رجوع إلى الفطرة الإنسانية .

---

(١) المصدر السابق ص ٤١٩ .

(٢) سورة النجم، الآية : ٢٣

وإذن ، فالــناس محــتاجون علــى وجــه التحديد إلى قاعدة صالحة للتطبــيق علــى فطرتهم، ويستطيع كل منهم فى الحالات السهلة أن يجد تلك القاعدة مسجلة بصورة ما فى ضميره .

أى أن الشــخص لا يحتاج إلى ذلك الكيان الشكلى المجرد ، وهو إن احتاج إليه فإن هذه الفكرة الفارغة لا تفيدنا شيئاً محدداً .

لا بــد إذن من أن نتوجه وجهة أخرى ، فأين نفتش عن ذلكم النور البديع لنهدى ضمائرنا ، عندما لا تجد حيثما توجهت غير الظلام؟ .. وأين نجد ذلك المخلّص الذى تعلقت به أنفسنا وقد تقاذفتها الشكوك؟

لــيس لدينا أمام هذه الأسئلة سوى إجابة واحدة تفرض نفسها، إذ لا أحــد يعرف جوهر النفس، وشريعة سعادتها وكمالها، مع الصلاحية الكاملة، والبصــيرة النافذة غير خالق وجودها ذاته : (أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(١) .

فمن ذلكم النور اللا نهائى يجب أن أقتبس نورى، وإلى ذلكم الضمير الأخلاقى المطلق يجب أن أتوجه لهداية ضميرى : (وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُــوَ خَــيْرٌ لَّكُــمْ وَعَسَــى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(٢).

فــبدلا من أن نقول : (العقل المحض)، يجب أن نقول (العقل العلوى) وبــدلاً من الاستناد إلى تجريد تصورى ذهنى يجب أن نلجأ إلى ذلكم الواقع المحس، الحى، العليم، الذى هو (العقل الإلهى) ، فنور الوحى وحده هو الذى يمكن أن يحل محل النور الفطرى ، ذلك أن الشرع الإلهى الإيجابى هو الذى يجب أن يستمر ، ويكمل الشرع الأخلاقى الفطرى"(٣) .

---

(١) سورة الملك، الآية : ١٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١٦ .

(٣) دستور الأخلاق فى القرآن د/ محمد عبد الله دراز ص ٣٣، ٣٤ .

إذن العقــل والنقل يسيران جنباً إلى جنب حتى يصل الإنسان إلى بر الأمــان فــي الدار الأخرة ويكسب رضوان الله عز وجل. قال الله عز وجل مــتحدثاً عن أهل النار وندمهم على ما فعلوا : (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)(١).

" أما الأخلاق والتشريع فموقف العقل السليم منه ايضاً التسليم للنص واعتبار ما حسنة الشرع حسناً وما قبحه قبيحاً واعتبار الأمر عبادة باعتبار الشرع له، إذ العقل لا يكلف ولا يأمر ولا ينهى. وإن كان مفطوراً على فهم الخــير وحــبه، إذا وُجِّه وذُكِّر، وفيه أيضاً القدرة على فهم الشر وعواقبه. ولكن العقل قد يتأثر بعوامل البيئة والتربية فتختلط عنده المفاهيم وتنقلب به الموازيــن، فهو بحاجة إلى الشرع باستمرار، يرجعه إلى صوابه ويعمق فيه مفاهيم الخير ويدله على مناهجها العقدية والعملية، ويبعده عن الشر ويكرهه إليه كما قال تعالى مصوراً الفطرة الصادقة فى حاجتها إلى الله فى ذلك كله : (وَلَكِــنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(٢)(٣).

فــإذن التشــريع أداة لتميــيز الخير من الشر الضار من النافع يتسم بالــرحمة لجميع البشر كما أنه لأنه صدر من الكامل فهو ليس فيه نقص ولا جبر فهو مقياس صحيح لا يحجبه هوى ولا تأثيرات خارجية .

وابــن ســينا يــرى أن الإنسان بحاجة ضرورية وتكاد تكون واجبة لوجــود الوحى والتشريع وذلك لأنه مفطور على التكامل والتكافل ولا يحدد تلك الأشياء إلا الشرع الإلهى .

يقــول ابن سينا : " من المعلوم أن الإنسان يفارق سائر الحيوانات بأنه لا يحسن معيشته لو أنفرد شخصا واحداً، يتولى تدبير أمره. من غير

---

(١) سورة الملك، الآية : ١٠ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ٧ .

(٣) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٦٥٠ – ٦٥١ .

شريك يعاونه على ضرورات حاجاته وأنه لا بد أن يكون الإنسان مكفياً بآخر من نوعه يكون ذلك أيضاً مكفياً به وبنظيره ، فيكون مثلاً : هذا ينقل إلى ذاك وذاك يخبر لهذا وهذا يخيط للآخر والآخر يتخذ الأبرة لهذا حتى إذا اجتمعوا كان أمرهم مكفياً .

وإذا كان هذا ظاهراً فلا بد فى وجود الإنسان وبقائه من مشاركة ولا تتم المشاركة إلا بمعاملة ... ولا بد فى المعاملة من سنة وعدل . ولا بد للسنة والعدل من سان ومعدل ، ولا بد أن يكون هذا بحيث يجوز أن يخاطب الناس ويلزمهم السنة، ولا بد أن يكون هذا إنساناً . ولا يجوز أن يترك الناس وآراءهم فى ذلك فيختلفون ، ويرى كل منهم ما له عدلاً، وما عليه ظلماً . فالحاجة إلى هذا الإنسان فى أن يبقى نوع الناس ... فلا يجوز أن تكون العناية الأولى – أى عناية الله – تعالى – تقتضى تلك المنافع، ولا تقتضى هذه التى هى أسما ... فواجب إذن أن يوجد نبى وواجب أن يكون إنساناً وواجب أن يكون له خصوصية ليست لسائر الناس، حتى يستشعر الناس فيه أمراً لا يوجد لهم، فيتميز به عنهم . فتكون له المعجزات التى أخبرنا بها(١) .

نأخذ على ابن سينا لفظ الوجوب لأن الله عز وجل لا يجب عليه شىء وإنما يرسل لنا الرسل على سبيل المنة والتفضيل والرحمة بالعباد حتى لا يضلوا عن الطريق المستقيم الذى يرضى ربنا .

وعالم الغيب وعلى رأسه معرفة الله عز وجل قضية تقع فى مجال العقل من حيث مبدأ التسليم بوجوده فقط، أما التفصيل فالعقل غير قادر على إدراك ذلك مهما أوتى من قوانين نظر .

" ومن ثم فمن أين له أن يدلى بمعرفة لعالم لا يخضع لقوانين العقل ولا يقع فى دائرة الحواس ؟ ولكن الله سبحانه قد جعل فى هذا العقل، بما هو ربانى الخلقة، ومن خلال نظرة فى عالم الشهادة، بما هو كذلك ربانى الخلقة،

---

(١) النجاة لابن سينا ص ٣٠٣ – ٣٠٥ .

إمكانية عقلية بل ضرورة عقلية بوجود عالم للغيب يقف فوق عالم الشهادة وأن عالم الشهادة ليس إلا أثراً له. وبعد ذلك يتوقف العقل فى تقديم معلومات دقيقة حول هذا العالم . وهنا تكون حاجة الإنسان إلى طريق آخر للمعرفة عن طبيعة عالم الغيب ومن طبيعته كذلك، يخضع لها الإنسان من خلال النظر العقلى أيضاً ، وهى طريق الوحي أو النبوة . فإذا كان وجود الله عز وجل يستدل عليه بالعقل ، فإن النبوة بوصفها طريقاً للمعرفة يقع التسليم بها أو إثباتها بالنظر العقلى أيضاً . . .

ويكون مجال العقل بعد ذلك إنما هو فى فهم النصوص القادمة عن طريق الوحى أو النبى ، فهما لا يتناقض فيه العقل مع نفسه وفهماً يساعد عليه النص من خلال الاستعمال اللغوى. وبما لا يناقض النص نفسه فى موضع آخر . . . أليس الإجتهاد وهو إعمال العقل فى النصوص الشرعية مصدراً من مصادر التشريع الإسلامى؟[١] . .

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٦٥٠ .

المبحث السابع

العقل فى الفلسفة الحديثة

أمـــا بالنســبة للفلسفة فى أوربا، فقد كانت فى العصر الوسيط تابعة للاهوت المسيحى ، وكان دورها البرهنة على صحة عقائده، فالفلسفة كانت خادمة للوحى ولا يستطيع العقل أن يجتهد فى الكتاب المقدس. حتى ولو لم يفهم بعض مسائله .

اخــتلف العقــل عــند فلاســفة العصر الحديث على حسب مشاربهم ومعــتقداتهم ، فإنــه يطلــق فى مقابل المذهب التجريبى والحسى حيث يرد المعارف كلها إلى مبادئ العقل القبلية .

" لهــذا الإطلاق مقاصد شتى بحسب البيئة الثقافية التى يشيع فيها ، فقد أطلق فى اللاهوت المسيحى مقابلاً لمذهب القول بخوارق العادات ، حيث يـرى أصــحاب المذهــب العقلى هنا أن العقل أصدق محك للوحى، ومقياس لحقائقــه، ومــن ثم فينبغى رفض ما لا يتمشى مع العقل، أما مذهب خوارق الطبـيعة، فيرى أن حقائق الوحى ليست فى متناول العقل، ومن ثم فلا يمكن عرضــها على العقل، وهو اتجاه المحافظين من رجال اللاهوت خلافاً للإتجاه الأول الذى سار عليه سبينوزا وشتراوس وآخرون"[1].

ونــرى (ديكــارت) ويعتبر الرائد للمذهب العقلى فى الفلسفة الحديثة يرى أن جميع أفعال العقل التى نستطيع أن نصل بها إلى معرفة الأشياء تعود إلى فعلين هما الحدس والاستنباط.

"فــالحدس نور فطرى غريزى، يمكن العقل من إدراك فكرة ما دفعة واحــدة، وليس على التعاقب، فهو إدراك مباشر غير مسبوق بمقدمات تسلم إليه ... وهذا الإدراك من الوضوح بحيث يمتنع مع كل شك"[2].

---

(١) أسس الفلسفة ص ٣٤١ .

(٢) أسس الفلسفة ص ٣٤٦ .

يرى ديكارت أن الحقيقة واضحة جلية لأنها حق وهو نور فطرى من الله عز وجل يبثه فى عقول البشر .

يقــول ديكارت : " إن كل ما نعرفه فى وضوح على حق فهو حق ، وهــو أمــر يخلصنا من الشكوك التى أثرناها فيما تقدم ، وينتج من ذلك أن ملكة المعرفة التى وهبنا الله إياها والتى نسميها بالنور الفطرى ، لا تدرك قط موضــوعاً لا يكــون حقــاً من حيث هى مدركة، أعنى من حيث تعرفه فى وضوح وتميز"[1].

وعرف المعرفة الواضحة والمتميزة فقال :

" والمعــرفة الواضـــحة عندى هى : المعرفة الجلية أمام الذهن ... والمعــرفة المتمــيزة هـــى المعرفة التى بلغ من دقتها واختلافها عن كل ما عداهـــا أنهـــا لا تحـــوى فـــى ذاتها إلا ما يبدو وبجلاء لمن ينظر فيها كما ينبغى"[2].

إذن المعــرفة عنده تتساوى فيها العقول لأنها نور فطرى يجعله الله فى عقول البشر ولكن عندما يخطئ الإنسان فى رأيه بسبب الإرادة الممنوحة للـــذات والـــتى أوسع نطاقاً من الذهن ولا تعرف الموضوعات كلها بوضوح وتميز .

ويقول ديكارت موضحاً منهجه العقلى :

" ... إن عقلـــنا يملك وسيلتين للإرتقاء إلى معرفة الحقيقة، وليس لـــه ســـوى وسيلتين الأولى : الحدس، والثانية : الأستنباط ... والحدس الإدراك البديهى الصادر عن فكر سليم يقظ، وهو إدراك ينشأ عن أنوار العقل وحدهـــا، ويتمـــيز بأنـــه أشد وثوقاً لأنه أبسط من الاستنتاج. بهذه الصورة

---

(١) مبادئ الفلسفة . ديكارت ص ١٢١ – ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٨ – ١٣٩ .

يستطيع كل فرد أن يتبين بالحدس أنه موجود، وأنه يفكر، وأن للمثلث ثلاثة أضــلاع وللكــرة سطح واحد وأن يتبين كثيراً من الأشياء الأخرى الموجودة بنســبة أعظــم ممــا نعتقد عادة لأننا نألف الانتباه إلى أشياء لها مثل هذه السهولة"[١].

" وأمــا الاستنباط فهو العملية التى تستخلص من شىء نعرفه معرفة موثوقــة مؤكــدة، نتائج تنجم عنه بالضرورة ... ثمة أشياء كثيرة ليست بديهــية فى حد ذاتها، ولكنها تحمل طابع اليقين ، بشرط أن يستنتجها سير الفكر المستمر المتواصل من مبادئ صحيحة لا شك فيها"[٢].

فديكــارت أبــو العقلانية المعاصرة الذى دعى إلى تحرير العقل من الســلطة الدينــية ورفض المعرفة التى تأتى عن طريق الوحى، عاد فنحى حقــائق الوحــى عن مجال العقل ، لأنها لا تدرك إلا بمدد من السماء خارق للعــادة، ولكن اتباع ديكارت رفضوا " هذه النزعة اللاعقلية، فى مجال الدين وبسطوا سلطان ــ العقل ــ على كل المجالات"[٣].

" ومــن أبــرزهم : ســبينوزا، الذى اصطنع منهج فلاسفة العصر العباســى، باعتبار العقل كافيا عن الوحى للفلاسفة ، بل هو أوثق منه، لأن دلالــته على صدقه فيه، بينما الوحى يحتاج لإثبات صدقه إلى المعجزة، لكن الوحى الدينى نافع للجمهور ، حيث يدفعهم للتقوى"[٤].

---

(١) تــيارات الفكر الفلسفى من القرون الوسطى حتى العصر الحديث اندريه كريسون ترجمة الاستاذ نهاد رضا ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) تــيارات الفكر الفلسفى من القرون الوسطى حتى العصر الحديث اندريه كريسون ترجمة الاستاذ نهاد رضا ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) أسس الفلسفة ص ٣٤٥ .

(٤) ديكارت والعقلانية ص ١٧٥ .

قال اسبينوزا :

" إن الذهن بفضل قدراته الفطرية يصنع لنفسه أدوات فكرية يكتسب عن طريقها القوة التى تساعده على أداء العمليات الفكرية الأخرى ، وتساعد هـذه العمليـات على زيادة القوة الدافعة فى البحث إلى ما هو أبعد، وبذلك يـتحقق تقدم تدريجى يسفر عن بلوغ قمة الحكمة، وتتألف قمة الحكمة التى يهتدى إليها فى نهاية المنهج أو عملية الصعود اساساً من معرفة طبيعة الله وهويته والعالم"(١).

هـنا اسـتخدم سـبينوزا هذا المنهج الحدسى للوصول إلى المعرفة الكاملة والأفكار الحقيقية .

وبالـرغم مـن النزعة العقلية المسيطرة على الفلاسفة العقليين فى الفلسـفة المعاصرة ورفضهم المعرفة التى تأتى عن طريق الوحى بحجة أن العقـل أضبط وأوثق فى مجال المعرفة. إلا أنهم كانوا عاطفياً يسيطر عليهم سلطان الدين .

وأرى أن مـا قالوا هذا إلا لتضارب الكتب المقدسة التى كانت عندهم مثل التوراة والانجيل لتدخل أيدى العابثين بالتحريف والتدليس لمصالح رجال الدين الشخصية .

"و ليبنتز" الذى يقول :" " إن خير الديانات الوضعية هى المسيحية، وليس بصحيح أن عقائدها تخالف العقل"(٢) .

"وكانت" جعل للعقل أهمية كبرى حيث أنه يقوم على تحويل المدركات الحسية إلى أحكام عقلية على الأشياء .

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ص ٨٨ .

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ١٤٠ .

فيقول "كانت" : " فالموضوعات معطاة لنا عن طريق الحس، والحس وحده هو الذى يمدنا بالإدراكات الحسية، وأما عن طريق الفهم فإن الموضوعات تصبح متعقلة وتتولد عنها مفاهيم"(١).

" ولكن الذى يؤخذ على "كانت" هو حصره لدور العقل فى مجرد تحويل المدركات الحسية إلى أحكام عقلية واقتصاره على الظواهر الحسية فحسب ميداناً لهذا العقل النظرى أما الشىء فى ذاته ـ بتمييزه ـ أو عالم الغيب بالتعبير القرآنى فليس داخلاً فى مجال هذا العقل، بل لا يستطيع حتى مجرد إثباته أو نفيه. ومن ثم كانت نظرة القرآن أشمل وأقيم لتوضيح دور العقل"(٢).

" والحقيقة عند "كانت" صورة من صور التطابق أو التوافق مع قوانين الفكر، وليس التطابق بين الفكر والواقع، لأننا لا نعرف الشىء فى ذاته حتى ندعى ذلك التطابق، وكل ما نعرفه عنه هو خواصه الظاهرة والتى ترجع إلى ذهن المدرك"(٣).

فالحقيقة موجودة فى الذهن ثم يطبق ذلك على الظواهر الواقعية. فيحدث توافق بين الفكر والواقع .

"وكانت" يرى أن المطلوب هو : اتباع الدين العقلى القائم على الصدق الكلى، لأنه هو الذى يمكن أن يجتمع عليه الناس، أما الأديان الوضعية فلا تصح إلا عند قوم بأعينهم، نراه بعد ذلك يبحث فى إثبات أن المسيحية وحدها " تتفق مع الدين العقلى فى عقائدها"(٤).

---

(١) كانت د/ زكريا ابراهيم ص ٦٨ .

(٢) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٦١٩ .

(٣) انظر : رواد المثالية د/ على عبد الواحد ص ٦٩ .

(٤) فلسفة الدين والتربية عند كانت ص ١٨ .

نرى من ذلك أن رفضهم للوحى وما جاء به واستبدال العقل بدلاً منه رد فعل طبيعى لإضطهاد الكنيسة للعلماء واستبدادها وتقييدها لحرية الفكر إلا أنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا من احتياجهم للدين لأن فى رأيى الشخصى أن ذلك فى فطرة الإنسان .

فـالعقل له دور مهـم فى المعرفة ، سواء منها المعرفة العقلية التى مصدرها الحواس مع العقل ، أو المعرفة العقلية بطريق الاستدلال أو التفكير ، وأيضاً له دور مهم عند التجريبيين حتى ولو أنكروا ذلك لأن التجربة لا تكون مثمرة بدون استخدام الاستنباطات العقلية .

إذن العقـل أسـاس الفكـر وأساس تقدم العلوم وبتقدم العلوم تتقدم البشرية . والتطور البشرى شاهد على ذلك فى جميع العلوم .

خلاصة البحث :

- ان التفكير العقلى للوجود والبحث فى المعارف الكونية استخدمه كثير مـن المفكريـن منذ بدء الخليقة أى منذ خلق الله عز وجل العقل فى الإنسـان . حـتى أنهم أفرطوا وجعلوه هو أساس المعرفة ومنهم من جعل الوحى فى المرتبة الثانية بعد المعرفة العقلية، والملحدين جعلوه هـو وحده اساس المعرفة . لذلك كان تيار الفكر العقلى قديماً وحديثاً له اتباع ومؤيدين .
- التفكير العقلى كان السمة الرئيسية فى الفكر الفلسفى الإسلامى ، لأن القرآن الكريم جمع بين المادة والروح فى طبيعة الوجود بأكمله ، أى جمـع بين الحس والعقل إذ الكون يتسم بالحركة والنظام الآلى وبنيته الرئيسـية المـادة ، ومسـيرة قوانيـنها عند الواقعية . بينما يتسم بالمعقولية وبنيته الرئيسية الروح أو الذهن أو العقل عند المثالية .

- التفكير العقلى عند الفلاسفة اليونانيين كان له دور خطير ومهم وأساسى إذا المعارف عندهم تأتى من العقل لذلك سلوكهم وقوانينهم وعلاقاتهم كلها كانت تأتى لهم عن طريق العقول المفكرة أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو ، لأن ليس عندهم شرع يرجعون إليه عند الخطأ لذلك جاءت أفكارهم العقلية الفلسفية مرة بالصواب ومرة بالخطأ ، والناس فى ذلك منقسمون إلى فكر هذا أو ذاك .

- استخدم المتكلمون البرهان العقلى القائم على الاستدلال وربط المقدمات بالنتائج فى اقناع المعاندين والمخالفين للإسلام .

وأولت المعتزلة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن معانيها الأصلية لتنتصر لمذهبها القائم على التحسين والتقبيح العقلى ، لأنهم يروا ما حسنه العقل فهو حسن وما قبحه العقل فهو قبيح لأن العقل عندهم لا يخالف الشرع ، فجعلوا العقل فى المقدمة ثم يأتى بعده الشرع وذلك مخالف لأهل السنة وهو المذهب الحق حيث أن العقل عندهم خادم للشرع إذ يقوم على توضيح الشرع وتفسيره وتسهيله على الناس ولا يخرجوا عن النص حتى ولو لم يفهموا معناه فيقفوا عند النص ويقولون الله اعلم بمراده .

- استخدم الفقهاء المنهج العقلى فى النصوص الشرعية الواردة فى الكتاب أو السنة لتوضيح تلك الأحكام وأنواعها للناس، وما لم يرد فيه نص استخدموا فيه المنهج العقلى كالقياس على الأحكام التى صدر فيها نص أو على سبيل الاستحسان لذلك علماء أصول الفقه لا استغناء عندهم عن التفسير العقلى للأحكام .

- استخدم الفلاسفة المسلمون العقل فى التوفيق بين الفلسفة والدين فى المعضلات التى اختلفوا فيها بين الفلاسفة قديماً كحدوث العالم، وكيفية الخلق للكائنات الموجودة فى الكون، وقضية الألوهية .

- وجـــاء الفكر الحديث بكل الزخارف المادية فحاول البعض منـهم إقصاء الدين وتمجيد العلم القائم على التفكير العقلى المادى ؛ ومنهم من مجد العقـــل والعلـــم والـــتجديد الفكرى والفلسفى كديكارت وأغفلوا الجانب الـــروحى إلا إذا عجـــز الفكر فى بعض الأمور ، فيلتجأ حين ذاك إلى الحدس أو النور الفطرى الذى يقذفه الله عز وجل فى قلوب الناس.

- فالطريق العقلى طريق يلتزم بمنطق العقل ومقولاته وهو تأمل فكرى لا يخـــرج عن قواعد العقل، وإذا تجرد الإنسان عن العوائق المادية التى تكدر صفو التفكير العقلى استطاع الإنسان أن يصل إلى الكمال فيكون قلـــبه متعلق بالذات الإلهية فتسطع الأنوار والكمالات على عقله وقلبه فيرى ما لا يراه الناس ويسمع ما لا يسمعه الناس . ولكن ذلك الأمر لخاصـــة الخاصة. لأن العقول متفاوته بين النقص والكمال فلا يصلح لجمـــيع الـــناس. لذلك جعل رب العزة التشريع الذى يأتى عن طريق الوحى هو الهادى للناس جميعاً الخاصة والعامة .

الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع :

١ – الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه فى هذا العصر، سيد محمد الأفغانى، طبع مطابع المدنى بمصر ، نشر دار الكتب الحديثة .

٢ – إحياء علوم الدين لابى حامد الغزالى ، طبعة دار الفكر ، بيروت .

٣ – آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى ، مطبعة محمد صبيح، القاهرة .

٤ – أسس الفلسفة د/ توفيق الطويل ، الطبعة السابعة دار النهضة العربية ، القاهرة .

٥ – اصول الدين ، عبد القاهر البغدادى الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٠ هـ دار الكتب العلمية ، بيروت

٦ – اصول الفلسفة الماركسية ، جورج بولينتز ، ترجمة / شعبان بركات ، المكتبة العصرية ، بيروت

٧ – الاعتصام ، ابراهيم بن موسى الشاطبى طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٨ – إلجام العوام عن علم الكلام للغزالى ، المكتبة المركزية بجامعة الإمام .

٩ – البداية للصابونى .

١٠ – تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، دار القلم ، بيروت .

١١ – تاريخ الفلسفة العربية د/ جميل صليبا ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٣م .

١٢ – تجديد علم المنطق فى شرح الخبيصى على التهذيب . عبد المتعال الصعيدى .

١٣ – التعريفات ، على بن محمد الجرجانى ، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٤ – تلخيص ما بعد الطبيعة لابن رشد ، مطبعة مصطفى الحلبى، القاهرة ١٩٥٨م .

١٥ – تهذيب اللغة د/ محمد بن أحمد الأزهرى ، طبع دار القومية العربية ، بمصر ،
١٦ – تيارات الفكر الفلسفى من القرون الوسطى حتى العصر الحديث اندريه كريسون ترجمة الأستاذ نهاد رضا
١٧ – ثورة العقل فى الفلسفة العربية د/ عاطف العراقى الطبعة الرابعة ١٩٧٨ م ، دار المعارف ، القاهرة ،
١٨ – الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى د/ محمد البهى الطبعة السادسة ، دار غريب للطباعة القاهرة ١٤٠٢ هـ ،
١٩ – جون لوك ، د/ عزمى إسلام دار الثقافة بالقاهرة ،
٢٠ – دراسات فى تاريخ الفلسفة العربية ، د/ عبده الشمالى ط الخامسة دار صادر ، لبنان ،
٢١ – الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالى بوجه خاص ، عبد الكريم العثمان ، الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،
٢٢ – درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٧١ م ،
٢٣ – دستور الاخلاق فى القرآن ، د/ محمد عبد الله دراز ترجمة عبد الصبور شاهين ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٣ هـ مؤسسة الرسالة ، بيروت ،
٢٤ – ديكارت والعقلانية ، جنفيان روديس ، ترجمة عبده الحلو ، الطبعة الثانية عام ١٩٧٧م ، دار منشورات عويدات ، بيروت ،
٢٥ – الرد على المنطقيين لاحمد بن تيمية ط الثانية طبعة دار معارف لاهور ،
٢٦ – الرسالة اللدنية " مجموعة القصور العوالى" للغزالى طبعة الجندى ، القاهرة ١٩٧٠م ،
٢٧ – رسالة الغنية فى علم الكلام ، أبو أحمد الخطابى ،

٢٨ – رسالة فى القوى الإنسانية لابن سينا .
٢٩ – رسالة فى جواب مسائل سئل عنها الفارابى .
٣٠ – رســالة فى الفلسفة الأولى للكندى تحقيق محمد عبد الهادى ابو ريده القاهرة ١٩٥٦ م .
٣١ – رســائل للفارابى . طبعة القاهرة من ضمنها رسالة فى معانى العقل سنة ٣٢٥ هـ . ١٩٠٧ م .
٣٢ – رواد المثالية د/ على عبد الواحد دار الثقافة . القاهرة ١٩٧٥م .
٣٢ – شــرح الكوكــب المنــير د/محمد بن أحمد الفتوحى طبعة دار الفكر . دمشق سنة ٤٠٠ هـ .
٣٤ – شــرح الأصــول الخمسة للقاضى عبد الجبار . مكتبة وهبة القاهرة ١٣٨٤ هـ . ١٩٦٥م .
٣٥ – شــرح العقــيدة الطحاويــة . محمد بن ابى العز الحنفى ط السادسة ١٤٠٠ هـ . المكتب الإسلامى . بيروت .
٣٦ – علــم المنطق الحديث والقديم . عبد الوصيف محمد الجمعية العلمية الأزهرية .
٣٧ – فصل المقال فيما بين الحقيقة والشريعة من اتصال لابن رشد . الطبعة الأولى عن دار الآفاق الجديدة . بيروت . ضمن رسائل لابن رشد .
٣٨ – الفكــر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى. د/ محمد البهى الطبعة الثامنة .
٣٩ – فلســفة الدين والتربية عند كانت . تأليف عبد الرحمن بدوى الطبعة الأولى عام ١٩٨٠ م المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت .
٤٠ – الفلســفة العربية عبر التاريخ . د/ رمزى النجار الطبعة الثانية. دار الآفاق الجديدة . بيروت .
٤١ – الفلسفة الرواقية د/ على عبد الواحد الأنجلو . القاهرة ١٩٧١م .
٤٢ – الفلسفة الحديثة لأحمد السيد على رمضان مكتبة الايمان .

٤٣ – قواعد العلاقات الدولية د/ جعفر عبد السلام • القاهرة •
٤٤ – كانت د/ زكريا ابراهيم • طبعة مكتبة مصر • القاهرة • ١٩٧٢م •
٤٤ – مبادئ الفلسفة • ديكارت ترجمة أحمد أمين • طبع دار الكتاب العربى بيروت •
٤٦ – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم الجوزية • دار إحياء الكتب العربية • الحلبى • القاهرة •
٤٧ – مدخل جديد إلى الفلسفة د/ مصطفى النشار دار قباء للطباعة والنشر • القاهرة • الطبعة الأولى •
٤٨ – مذاهب فكرية معاصرة د/ محمد قطب • دار الشروق الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ •
٤٩ – مصادر المعرفة فى الفكر الدينى والفلسفى د/ عبد الرحمن بن زيد الزنيدى • مكتبة المؤيد المملكة العربية السعودية •
٥٠ – المطالب العالية من العلم الإلهى لفخر الدين الرازى • دار الكتب العلمية • بيروت • لبنان •
٥١ – المعجم الوسيط صدر عن مجمع اللغة العربية بمصر طبع دار الكتب العلمية بطهران •
٥٢ – المعجم الفلسفى لجميل صليبا ط سنة ١٩٧٨ م عن دار الكتاب اللبنانى •
٥٣ – معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا الطبعة الثانية سنه ١٣٨٩ هـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر •
٥٤ – المغنى فى ابواب العدل والتوحيد لعبد الجبار الهمذانى تحقيق محمود الخضيرى ، ومحمود محمد قاسم • طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة • مصر •
٥٥ – من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية • محمد بن عبد الرحمن مرحبا • الطبعة الثانية بيروت •

٥٦ – منتهى الوصول والأمل فى علمى الأصول والجدل لابن الحاجب مطبعة السعادة ١٣٣٦ هـ ٠
٥٧ – منشأ الفكر الحديث ٠ برنتون ترجمة عبد الرحمن مراد ٠
٥٨ – المنقذ من الضلال للغزالى تحقيق/ عبد الحليم محمود ط الأولى سنه ١٩٧٩م ٠ دار الكتاب اللبنانى ٠ بيروت ٠
٥٩ – الموافقات فى اصول الفقه ابراهيم بن موسى الشاطبى تحقيق/ عبد الله دراز ٠ طبع المكتبة التجارية بمصر ٠
٦٠ – النجاة فى الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية لابن سينا الشيخ الرئيس نشر دار السعادة ومصطفى الحلبى القاهرة ١٩٣٨م ٠ ١٩٥٧م٠
٦١ – نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة د/ راجح عبد الحميد الكردى ٠ مكتبة المؤيد ٠ المملكة العربية السعودية ٠
٦٢ – نظرية المعرفة عند ابن رشد د / محمود قاسم ٠